

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
قسم التاريخ



ظاهرة الولاء في الجزائر خلال العهد العثماني
بين السلطة و الرعاية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص : تاريخ الجزائر الحديث .

إشراف الأستاذ:
محمد السعيد قاصري

إعداد الطالبتين:
- ركزة فتيحة
- أرفيس حليلة

الموسم الجامعي : 2021 / 2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

الشكر والحمد أولا و أخيرا للمولى عز و جل , الذي أنعم علينا بالتوفيق
والصحة والعافية , ومكننا لإنجاز هذا البحث المتواضع وإتمامه على هذا القدر
الذي هو قدر طاقتنا .

كما لا يفوتنا أن نعرب عن خالص شكرنا وتقديرنا وإمتنانا لأستاذنا الفاضل
" محمد السعيد قاصري "

الذي تفضل بالإشراف على هذا , فأولاه كامل العناية والإهتمام , راعيا وموجها
وجزاه الله عنا خير الجزاء .

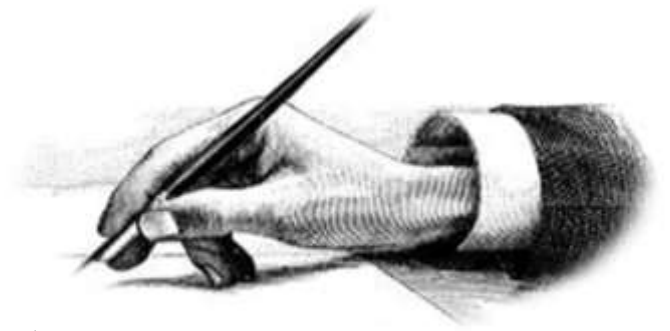
نشكر جميع أفراد أهلنا وأصدقائنا , والشكر كل الشكر لكل من أسهم في مسيرتنا
التعليمية وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

والحمد لله رب العالمين

إهداء

بعد الحمد لله والشكر لله سبحانه وتعالى نهدي ثمرة جهدنا المتواضع إلى :
والدينا الكريمين ...آباؤنا وأمهاتنا الذين هم سبب في وجودنا ومنتظرون دوما
حلقات مسلسل نجاحنا
وإلى إخواننا وأخواتنا و أبنائهم الأعزاء كل واحد بإسمه , الذين نسأل الله لهم التوفيق
في مشوارهم في الحياة
وإلى أستاذتنا الكرام الاوفياء الأحياء منهم والذين هم بالرفيق الأعلى,الذين أدخلوا جهدا في
حياتنا الدراسية طيلة السنوات الماضية .
إلى زملائنا الطلبة في الجامعة الجزائرية عموما وجمعتنا خصوصا , الذين نهدي لهم هذا
العمل لعله يكون مفيدا لهم في رسائلهم البحثية .
وفي الأخير نسأل الله تعالى أن يوفقنا في حياتنا الدراسية والعلمية .
أرفيس حليلة , ركزة فتيحة

مقدمة



مقدمة :

عرفت الجزائر منذ دخول العثمانيين عدة ولايات بإختلاف فئات المجتمع ومواليها للزعماء القبائل وطرق الصوفية , والتي كانت تتسم بالرابطة الدينية لكن سرعان ما إستطاعت كسب ودها وجعل الولاء التام لسلطة الحاكمة بالتقرب لها وتعاون معها , وذلك بالتحالف بين السلطة العثمانية والسلطة الدينية من مرابطين وعلماء ورجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية حيث حازت على مكانة كبيرة وشأن عظيم عندها مقابل مصالح مشتركة تخدم الطرفين , ورغم إختلاف مظاهر الولاء المتمثل في الولاء السياسي والإقتصادي والإجتماعي والثقافي إلا أنها فرضت سيطرتها وبسط نفوذها .

ذلك من خلال تأسيس السلطة الشرعية مما جعل إستمرارية البقاء في الجزائر للسلطة العثمانية لفترة طويلة دامت أكثر من ثلاثة قرون .

- دوافع إختيارنا للموضوع :

- تكمّن دوافع إختيارنا لهذا الموضوع في ما يلي :
- ميولنا الشخصية في دراسة تاريخ الجزائر الحديث مسلطين الضوء على ظاهرة الولاء التي كانت في تلك الفترة .
- البحث والتعمق الدقيق أكثر لمعرفة خبايا هذا الموضوع الخاص بالدراسة .
- محاولة تقديم لمحة عن هذا الموضوع لأنه يعتبر جديد .
- كما لا ننسى موضوع دراسة هذا البحث من إقتراح الأستاذ المشرف .

- أهمية الموضوع :

تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في تقديم صورة شاملة ومعمقة للولاء , الذي كان بين السلطة العثمانية والسلطة الدينية , من رجال الدين ومرابطين وعلماء والعلاقة التي تربطها بالمجتمع الجزائري .
وكذا معرفة آراء المؤرخين والباحثين لهذا الموضوع الجديد من نوعه , وتسليط الضوء لي يتسنى لهم مواصلة العمل فيه ودعم البحث التاريخي .

- الإشكالية المطروحة :

ذكر الإشكالية العامة وهي :

ما مدى مساهمة الولاء في إستمرار الوجود العثماني بالجزائر ؟
ومن خلال الإشكالية العامة لموضوع البحث نطرح جملة من الأسئلة الفرعية التي تندرج حسب كل مبحث .

- ما مفهوم الولاء في فترة الوجود العثماني بالجزائر ؟
- ما هي عوامل التي ساعدت على العلاقة التي كانت بين السلطة العثمانية والسلطة الدينية ومدى قبول الرعية لها ؟ وماهي الإنعكاسات في ذلك ؟

- المنهج المتبع :

لقد إعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الذي إتبعنا فيه سرد الأحداث والوقائع التاريخية , من خلال العلاقة التي كانت موجودة بين السلطة العثمانية والسلطة الدينية والرعية , وما نتج عنها من وقائع وإستنتاجات بمختلف آراء المؤرخين والباحثين .

- الخطة المتبعة :

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة إعتمدنا على خطة تتضمن مقدمة ومدخل تمهيدي ومبحثين وخاتمة .

تضمن مدخل تمهيدي الولاءات الموجودة قبيل الدخول العثماني .

المقدمة عرضنا فيها عرض شامل ومختصر للموضوع وقمنا بطرح الإشكالية العامة والأسئلة الفرعية لكل مبحث مع منهجية البحث ثم قسمنا الموضوع إلى مبحثين .

- المبحث الأول تناولنا فيه مفهوم الولاء في الجزائر خلال العهد العثماني ويندرج تحته مطلبين , حيث يتحدث المطلب الأول عن التعريف اللغوي والإصطلاحي للولاء والمطلب الثاني عن أقسام الولاء الولاء السياسي والروحي والديني والإقتصادي والإجتماعي والثقافي .

- المبحث الثاني تناولنا فيه مراحل الولاء ومظاهره في الجزائر خلال العهد العثماني , ويندرج تحته مطلبين المطلب الأول تضمن مرحلة التقارب والتعاون بين السلطة العثمانية والسلطة الدينية , أما المطلب الثاني مرحلة التباعد والتصادم فيما بينهما .

وأخيرا الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها حول الموضوع بالإضافة الى مجموعة من الملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع .

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة :

1 - المصادر :

ومن أهم المصادر المعتمدة نذكر من بينها :

- أحمد الشريف الزهار "مذكرات أحمد الشريف الزهار" , علاقة السلطة العثمانية بالسلطة الدينية ودور القوى المحلية الذي لعبته في توطيد العلاقة في ما بينهما والكتاب الثاني .

- كوريني شوفالييه : " الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة الجزائر " , يتحدث عن توظيف الجانب الديني في الولاء الذي كان بين رجال الدين والسلطة العثمانية .

- عبد الرزاق ابن حمادوش : " رحلة بن حمادوش المسماة بلسان المقال في النبأ عن النسب والحسب وال حال " , الذي يتحدث فيه عن المصاهرة بين القوى الدينية مثل العلماء لتقريب السلطة الحاكمة منها .

- ابن رقية التلمساني : " الزهرة النائرة " , وإعتمدنا عليه في الجانب الاجتماعي .

2 - المراجع :

ونذكر من بين المراجع التي إعتمدنا عليها :

- أبو القاسم سعد الله : " أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر " , أخذنا منه الجانب الذي يتحدث عن مرحلة الأولى للوجود العثماني و مدى تأثيره عليها وحتى جوانب المرحلة الثانية من الآثار والإنعكاسات , وكتابه الثاني " تاريخ الجزائر الثقافي " و إعتمدنا عليه في الجانب الثقافي .

- ناصر الدين سعيديون : " النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830م) " , الذي تحدث عن الجانب الإقتصادي من جباية وعشور وضيعة .

- صالح عباد : " الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م) " , الذي تحدث عن الجانب السياسي والإقتصادي والاجتماعي .

- كتاب أحمد توفيق المدني : " كتاب الجزائر " , الذي تحدث عن علاقة السلطة العثمانية والدينية والدور الذي لعبته كل القوى وأثرها على بقاء الوجود العثماني بالجزائر .

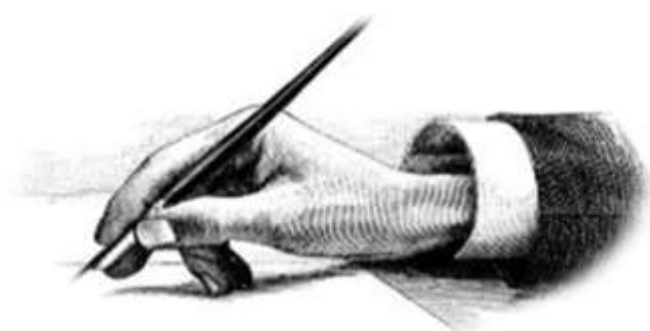
صعوبات الدراسة :

عدم وفرة المادة العلمية التي تخدم الموضوع , وهذا ما جعل لنا صعوبة في عملية تحكم في المعلومات وصياغتها.

بما أن الموضوع جديد صعب علينا وجود دراسة سابقة للموضوع لتسهيل علينا عملية البحث والتحري .

كما واجهتنا ظروف خاصة أثرت على عملية سيرورة العمل .

وفي الأخير ما عسانا نقول الحمد لله الذي وفقنا في البحث في هذا الموضوع البسيط و المتواضع الذي بذلنا فيه مجهود قدر المستطاع ونأمل من الله عزوجل أن نكون قد وفقنا ولو بقليل في هذا العمل , ونرجو أن يكون في متناول الباحثين والقراء .



مدخل تمهیدی

مدخل تمهيدي :

مع مطلع القرن 16 م كانت الجزائر مقسمة إلى عدة مجموعات من الإمارات والمشixات و قبائل مستقلة (1) , و تعددت الولاءات بذلك فكان الزيانيون يسيطرون على القسم الغربي إلا أنهم عمليا لا يحكمون إلا تلمسان و ضواحيها , بينما كان الحفصيون يسيطرون على القسم الشرقي من البلاد , و كانوا يحكمون نظريا بجاية و قسنطينة و بلاد الميزاب .

أما بقية البلاد فقد كانت مجزأة إلى وحدات سياسية صغيرة متنافرة لا يسودها الوئام , أما الجزائر فكان ولاؤها لقبيلة الثعالبة برئاسة سالم التومي , وفي المناطق الجبلية تأسست ولايات ذات طابع طرقي أو شريفي , من أهمها : إمارة بني عباس في جبال القبائل جنوب بجاية و إمارة كوكو الواقعة إلى الغرب من جبال القبائل ذاتها , و إستقلت المناطق الداخلية و الجنوبية عنهما بعض الأسر كأسرة بني جلاب في توقرت و علاهم في جنوب الجزائر و أسرة بني ورجلان في ورقلة و التي كان يتولى إمارتهما شيوخ الإباضية (2) .

أما في الغرب فقد إستوطنت قبائل بني عامر و كانت هذه القبائل مستقلة في إدارتها و شؤونها ولم تكن تخضع لأي سلطة سياسية وإن كانت تتبع إسميا لهذه الإمارة أو تلك (3) . وأمام هذه الأوضاع المتردية و الفوضى العارمة كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية خاصة إسبانيا التي تحولت من حرب إسترداد في الأندلس إلى حرب هجوم على دول المغرب العربي منها الجزائر , في 23 أكتوبر 1505م إحتلت المرسى الكبير وفي 15 مايو 1509 م إحتلت وهران (4) و إحتلت السواحل في فترة قصيرة , وقد تصدى لهذا

(1) - عائشة غطاس : " الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها " , طبعة خاصة , وزارة المجاهدين , منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م في الجزائر , ص 11 .

(2) - محمد دراج : " الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس 1512-1543 " , طبعة 1 , شركة الأصالة للنشر و التوزيع الجزائر 2012 , ص 93 .

(3) - عائشة غطاس : المرجع نفسه , ص 12 .

(4) - مولود قاسم أيت بلقاسم : " شخصية الجزائر الدولية " , الجزء 1 , طبعة 1 , شركة دار الأمة , الجزائر , ص 57 .

الإعتداء الرعية الذين سلموا قيادتهم وولائهم إلى الزعماء المحليين من علماء و شيوخ الطرق المرابطين أمثال آل مقران و ابن القاضي (1).

وبسبب هذه المقاومة لم تستطيع إسبانيا التوغل إلى داخل البلاد , لذلك أخذ المرابطون على عاتقهم التصدي و الدفاع أمام تدهور السلطة المركزية وعجزها على القيام بأي دور (2).

و تزامن الوجود الإسباني في السواحل المغرب العربي مع ظهور الأخوة بربروس عروج و خير الدين على السواحل التونسية , و الذين إزداد نشاطهما خلال السنوات (1504 م – 1510 م) مما أكسبهما شهرة واسعة وأصبحا أمل ورجاء للمسلمين في هذه المنطقة , ووردت إليهم العديد من الإستجدات و طلب العون من علماء و شيوخ زوايا وزعماء محليين (3) , وعلى إثر ذلك لبي الإخوة النداء و ساروا على رأس جيش صغير لمحاصرة المدن الواحدة تلو الأخرى , ومما زاد في قوة الأخوين كسب ولاء الرعية و تأييد العلماء و شيوخ الزوايا (4).

وقد تمكنا الإخوة من تحرير مابقي من البلاد , رغم تمرد بن التومي الذي قضى عليه عروج و الذي توفي أثناء محاولته تحرير تلمسان سنة 1518م (5) , وبقي خير الدين يسعى جاهدا إلى إتمام مسيرة أخيه و تحرير ما بقي من المدن , و بفطنته أدرك مدى ولاء الرعية لهؤلاء العلماء و المرابطين فعمل على الإرتباط معهم بعلاقة طيبة و قربهم إليه إلى درجة غدو كمستشاريين له فنصبوه أميرا عليهم وعينوا له القسبة ليتخذها مقرا له , وبعد حين من ذلك تكوّنت في مدينة الجزائر حكومة قائمة على مبادئ معتدلة (6) , أستطاع فيها خير الدين أن يكسب ولاء الرعية و تأييد العلماء و شيوخ الزوايا .

(1) - محمد دراج : المرجع السابق , ص 140 .

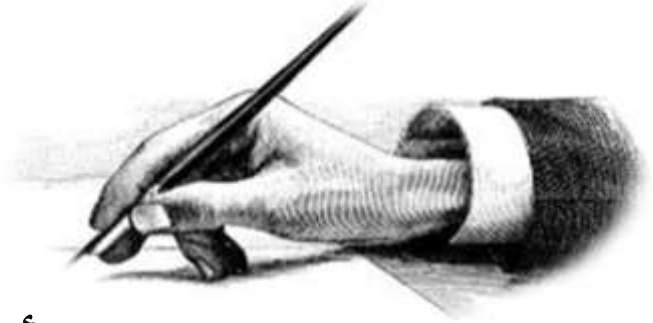
(2) - عائشة غطاس : المرجع السابق, ص 19 .

(3) - جمال قنان : " معاهدات الجزائر مع فرنسا " طبعة خاصة , وزارة المجاهدين , ص 5 .

(4) - عائشة غطاس : المرجع السابق, ص 21 .

(5) - محمد دراج : المرجع السابق , ص 16 .

(6) - حمدان خوجة : " المرأة " , تقديم و تعيب العربي الزبييري , منشورات ANEP , الجزائر , ص 71 .



المبحث الأول : مفهوم الولاء و أقسامه

المطلب الأول : مفهومه

المطلب الثاني : أقسامه

المبحث الأول : مفهوم الولاء و أقسامه :**المطلب الأول : مفهوم الولاء :****التعريف اللغوي:**

الولاء : من ولي يلي وليا وهو من مصدر والي يوالي موالاة, وهو القرب و الدنو و النصر و الإعانة , تقول فلان فلانا و لاء ولاية , إذ نصره و أعانه و يقال على ولاية أي يجتمعون في النصر و الموالي الناصر و المعين , و يأتي الولاء بمعنى المحبة إلى فلان فلانا إذ أحبه , و ضد الولاء البغض و العداة , و أصل كلمة الولاء من الولي وهو القرب يقال وليه وليا و لاء أي إقترب و دنا منه و الولي القريب و ضده العدو و الولاء هو الطاعة و الصداقة و الموالاة ضد المعادة (1).

- و المعنى الشرعي للولاء قريب من المعنى اللغوي , فالولاء هو المحبة و التقرب و النصر عكسه البغض و العداوة و الكراهية , كما يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمان في قوله : " أصل الموالاة الحب , و أصل المعادة البغض و ينشأ عنها ما يدخل أعمال القلوب و الجوارح من موالاة كالنصرة و الأئس و المعاونة كالجهد و الهجرة و نحو ذلك من أعمال و الولي ضد العدو " (2).

التعريف الإصطلاحي :

الولاء كمصطلح هو العلاقة المتينة سواء كانت ظاهرة أو باطنة لإظهار الود بالأفعال و الأقوال و النوايا و كذلك هي طاعة و إمتثال للأمر الحاكم من طرف المحكوم التي كانت بين الرعية و السلطة العثمانية و الوساطة التي تجمع بينهما المتمثلة في القوى المحلية من رجال الدين و مرابطين و علماء و شيوخ طرق صوفية فهي صلة تقارب و تعاون فيما بينهما , حيث دنت منهم لما لها من مصالح إتجاهها .

(1) - مها البيان : " الولاء والبراء " , تقديم : عبد الله بن عبد الرحمان الجبريني , الكتيبات الإسلامية , دار القاسم , ص 12

(2) - محمد بن سعيد القحطاني : " الولاء والبراء في الإسلام " , تقديم : عبد الرزاق عفيفي , الجزء 1, الفتح للإعلام العربي , القاهرة , 1981م , ص 111.

إعتمد العثمانيون بصفة أساسية على هذه القوى لما لها من دور فعال على مختلف الجوانب السياسية و الإجتماعية و الثقافية و الإقتصادية و تأثيرها الكلي على المجتمع الجزائري فمنحتها إمتيازات عديدة و مكانة محترمة من أجل كسب ولائها (1) .

يعتبر الولاء من القرب و الدنو و الطاعة و التبجيل و الإخلاص الذي جمع بين السلطة العثمانية و القوى المحلية التي نشأت بينهما صلة ودّ و تعاون وثيقة فيما بينهما لتحقيق أهداف معينة تخدم الطرفين , أما السلطة العثمانية سعت للتقرب منها وكسب ولائها لبسط نفوذها في البلاد مقابل عدة إمتيازات ومكانة كبيرة لها , لأنها كانت تعلم ما مدى تأثير تلك القوى على المجتمع الجزائري الذي كان يحترم و يقدر تلك السلطة من مرابطين و علماء و شيوخ طرق صوفية (2) .

(1) - يحي بوعزيز : " إسلام الفكر و الثقافة في الجزائر الحروسة " , طبعة 1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان , 1995م , ص 227 .

(2) - محمد الأمين بلغيث : "النسق الثقافي للسلطة في الجزائر وتونس من خلال تاريخ محمد بن عمر العدوانى في المجلة التاريخية المغاربية (العهد الحديث والمعاصر) " , العدد 117 , 2004م , ص 40 .

المطلب الثاني : أقسام الولاء**الولاء السياسي :**

عملت السلطة العثمانية على ربط علاقة بينها وبين السلطة الدينية لما لها من غاية ومصلحة حيث إعتمدت على نفوذهم وسلطتهم في فك الخلافات والنزاعات بين القبائل المتناحرة و التصدي للخطر الصليبي معها وغيرها من مهام , وهذا ما ترتب عنه من ولاء سياسي بالدرجة الأولى , حيث قربتهم السلطة العثمانية لها وحضوا بمكانة كبيرة ومنحتهم إمتيازات عديدة جعلتهم يتمتعون بكامل الصلاحيات حيث رأى العثمانيون أن المرابطين و شيوخ الزوايا وطرق صوفية يخضعون لهم سكان الريف من طاعة وتبجيل لأنهم لا يعترفون إلا بسلطتهم مقارنة بسكان المدينة " (1) .

إمتازت العلاقة بالتقارب و التعاون المشترك بين السلطة الدينية و السلطة العثمانية الذي كان يجمعهم الهدف الواحد القائم على الجهاد ضد العدو , وهذا كعامل مساعد على بسط سياستهم بين الأوساط الإجتماعية داخل البلاد حيث كان العلماء و المرابطين واجهة أمامية أمام العدو كما عملت على غرس مشاعر الحماس و المقاومة لدى المجتمع الجزائري بإسم الجهاد الإسلامي ضد التواجد الإسباني (2) .

أدرك العثمانيون منذ دخولهم للجزائر أن العامل الوحيد الذي يربطهم بالرعية هو الدين الإسلامي والجهاد في سبيل الله ضد العدو المشترك الذي يهدد الخلافة الإسلامية كاملة , فقد كانت العلاقة التي ربطت العثمانيين برجال الدين و العلماء تعكس لنا ما كان في إسطنبول , حيث كان النفوذ السياسي يفوق النفوذ الروحي وهذا راجع إلى إستشارة الحكام العثمانيين كرجال الدين في أمور سياسية , كما كان ترفع الراية الإسلامية في السفن تعبيرا لراية الإسلام .

بالإضافة إلى أنهم كانوا يطلقون طلقات مدفعية عند ذهابهم وعند رجوعهم تبركا وإحتراما لهم في الجهاد وعند النصر.

(1) - حمدان خوجة : " المرأة " , تحقيق و مراجعة محمد الزبيري , طبعة 2 , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع , الجزائر , ص 201.

(2) - المرجع نفسه , ص 201 .

نرى أن علاقة التقارب بين السلطة العثمانية و السلطة الدينية كان لها أثر إيجابي⁽¹⁾ على إستمرار الحكم لأكثر من ثلاثة قرون في الجزائر فكان الولاء السياسي بين الطرفين القائم على الدين الإسلامي من جهة و التصدي للخطر الصليبي , من جهة أخرى المصالح التي كانت بينهما حتى تستطيع السلطة العثمانية من بسط نفوذها تسيير مصالحها على أكمل وجه وذلك بمساندة ودعم السلطة الدينية من مرابطين ورجال دين وعلماء وطرق صوفية التي كانت تعلم أن لهم دور كبيرا في المجتمع الجزائري و التحكم فيه⁽²⁾ .

إلا أن ذلك التقارب الذي كان بين السلطة العثمانية والسلطة الدينية لم يسده الولاء التام والطاعة بالإمتثال لأوامر السلطة الحاكمة , بل تخللته بعض التمردات من بعض القوى المحلية التي كانت رافضة للوجود الحكم العثماني بالجزائر⁽³⁾.

(1) - بوديسة ياسين : " أوقاف الأضرحة بمدينة الجزائر و ضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية و سجلات مال و البايك " , ما جستير , جامعة الجزائر , 2008م , ص 92 .

(2) - بوديسة ياسين , المرجع نفسه , ص 93 .

(3) - محمد الأمين بلغيث , المرجع السابق , ص 42.

الولاء الديني :

يعتبر الولاء الديني هو تلك الرابطة الدينية التي جمعت بين القوى المحلية من رجال الدين و مرابطين وشيوخ طرق صوفية و علماء و السلطة العثمانية وهو الدين الإسلامي الذي كان هو رصيدهم و مصدر قوتهم الذي توافق فيما بينهما , ورغم إختلاف المذهبين حيث كان المذهب المالكي بالنسبة للجزائر و الحنفي للعثمانيين الذي جعل الإفتاء كوظيفة من الوظائف تعمل على المذهبين و كان المذهب الحنفي هو المعمول به عند السلطة العثمانية دون تحريف أو تدخل في الآخر (1) .

نظرا لتعدد المشارب و الولاءات الدينية فقد حال الوضع السائد من الحكام العثمانيين البروز بمظهر يليق برئاسة الدولة التي يعيش في ظلها المسلمون حتى وإن خالف ذلك ميولها ونعني بذلك السياسة التي إتبعتها السلطة الحاكمة في كسب ولاء السلطة الحاكمة في كسب ولاء القوى المحلية وتعامل معها لإخضاع الرعية , وكانت مجبرة عن القيام بكل المراسيم الدينية كثير منهم ويؤكد بناتي بتجنب أن يكون اللين بالنسبة للطامعين في السلطة أو الرعية الذين يحبون السلطة المتدنية وهذا ما تطلب منهم التقرب من المرابطين و رجال الدين (2) .

كما نرى أن الدين الإسلامي الذي زاد الصلة بين السلطة العثمانية و القوى المحلية و المجتمع الجزائري عامة كان دين واحد ضد الهجمات الصليبية الذين إستطاعوا توحيد القوى و صلة الروابط بينهم وهذا ما أدى إلى تقارب وتعاون وخلق ثقة و ود وهذا ما نتج عنه ولاء ديني بين السلطة العثمانية و القوى المحلية (3) .

-
- (1) - أرزقي شوتيام : " دور القوى المحلية في الجزائر في ظل الحكم العثماني " , ملتقى الدولي حول ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي , بسكرة , 2010 م , الجزائر , ص 162 .
 (2) - أبو القاسم سعد الله : " تاريخ الجزائر الثقافي " , الجزء 2 , دار الغرب الإسلامي , لبنان , 1998 م , ص 185 .
 (3) - أبو القاسم سعد الله , المرجع السابق , ص 112 .

الولاء الروحي :

هو من مظاهر التقرب بين الطرفين لتحقيق الثقة حفاظا على مصالحهم هي تلك الرابطة الروحية من مرابطين و طرق صوفية وبين المجتمع الجزائري التي إستطاعت التحكم فيها وإخضاعها لها فإستغلت تلك الرابطة لصالحها المتمثلة في الإعتقاد بأن المرابطين وشيوخ الزوايا وطرق الصوفية لما لهم من كرامات يستطيعون التأثير بها على ما يدور حولهم , فيعتبرونهم من المبجلين ومن أهل الإيمان و الأولياء الصالحين لتقربهم من الخالق عز و جل وجعلهم من الوجهاء ورموز السلطة وهذا جعل لهم شأن كبير و بليغا في حياة العامة و الخاصة وحتى بعد مماتهم , أصبحوا يتبركون بهم وذلك بزيارة مقابرهم (1) , وحتى اللجوء الى تلك الزوايا و الرباطات للإحتماء بها و الهروب من أي خطر يحدق بهم (2) .

كما يفسر تقرب السلطة العثمانية من الصوفية ورجال الدين لإتباعهم و التقديس الأعمى وإيمانهم العميق بهم كأولياء الله عز وجل في الأرض وذلك لخضوعهم التام بمشورتهم عند العزم , كما كان الحس الروحي ممزوج بالتصوف وهذا راجع إلى أن السلطة العثمانية صوفية بطبعها إنها جاءت من إسطنبول التي كانت فيها البكداشية و المولوية مقارنة ما هو موجود بالجزائر من الشاذلية و الرحمانية , فامتزجت تلك الطرق وجعلتها قوى روحية ساعدت على دعم ذلك التماسك و روابط الولاء فيما بينهما (3) .

(1) - عدنان حقي : " الصوفية و التصوف " , طبعة 1 , دمشق , سوريا , 1992 م , ص 12 .

(2) - عدنان حقي , المرجع السابق , ص 55 .

(3) - أرزقي شوتيام , المرجع السابق , ص 167 .

الولاء المادي :

لقد تعددت مظاهر التقارب بين السلطة العثمانية والسلطة الدينية التي كانت وساطة بينها وبين المجتمع الجزائري وهي الصلة التي جعلت العلاقة بينهما متمثلة في الهدايا والإمتيازات الممنوحة, والمكانة التي حظيت بيها تلك القوى المحلية من رجال دين و مرابطين وشيوخ طرق صوفية و علماء (1) .

كما كانت السمة البارزة في العلاقة بين السلطة العثمانية و المجتمع الجزائري هي تلك السلطة الدينية التي جعلت من ذلك الولاء بينها وبين العثمانيين أثر كبير إتجاهها مقابل إعطائها هبات عديدة من هدايا وإتاوات مقابل تسيير مصالحهم داخل البلاد كما حظوا بمكانة كبيرة قربتهم من السلطة ومنحتهم كامل الصلاحيات لمزاولة مهامهم لأنهم أدركوا أن المحرك الأساسي لما لهم من تأثير على الرعية و التحكم فيها (2).

كما سعى العثمانيون فتح جسور التعاون و التنسيق معهم بإختلاف توجهاتهم منحتهم مناصب الإفتاء والإمامة والخطابة و القضاء و التدريس لكسب ثقتهم وولائهم , وكانت حاجة الحكام لرجال الدين من مرابطين وطرق صوفية وعلماء تتجدد كلما دعت المشاكل السياسية و الأمنية للإيالة فحافظت السلطة العثمانية (3) على تلك الرابطة و محاولة ردع كل حاجز يقف أمام ذلك حتى لا تخسر ودها وثقتها لأنها تعلم جيدا من دور و مكانة السلطة الدينية على المجتمع الجزائري و التأثير عليه (4) .

(1) - عبد الله عبد الرزاق : " الطرق الصوفية في القارة الإفريقية " , طبعة 1 , دار الثقافة للنشر و التوزيع , القاهرة , مصر , 2004 م , ص 230-231 .
(2) - ناصر الدين سعيدوني و أبو عبدلي : " الجزائر في العهد العثماني " , الجزائر , 1984 م , ص 108 .

(3) - ناصر الدين سعيدوني و أبو عبدلي , المرجع نفسه ص 108.

(4) - عبد الله عبد الرزاق , المرجع السابق , ص 235.

الولاء الاجتماعي :

وهو ذلك الولاء المتمثل في الرابطة بين السلطة العثمانية وفئات المجتمع وخاصة الأشراف والأندلسيين لما كان لهم من مكانة عند الحكام , حيث شكلت الدور البارز في الطاعة للحاكم والمثول لأوامره وتقرب منهم عن طريق المصاهرة , وكذلك العائلات ذات القيمة العلمية لما لها شأن عظيم عند الرعية , إذ سعت السلطة العثمانية لربط جسور التواصل فيما بينهما وذلك للخدمة المصالح المشتركة (1) .

إلا أنها كانت بحاجة الى الدعم المعنوي والتعبئة الشعبية للوقوف في وجه الأخطار المحدقة بيهم وكل ما يعيق مهامها داخل البلاد (2) .

إن من التقارب مصاهرة بعض العائلات نذكر عائلة علي بن صخري بو عكاز لتضمن ولائها لما تتمتع به من نفوذ سياسي وعسكري , وكذلك عائلة المقراني للمكانة التي كانوا يتمتعون بها من نفوذهم الواسع , ومن العائلات نذكر عائلة الفكون والملياني وغيرهم , وقد أدرج حمدان خوجة في كسب ثقة السكان إلي تطبيق العدالة والإنصاف لأنهم يعتبر أن أساسا لجميع الحكومات التي تريد أن تكون عظمتها دائمة و إلى الأمن والإستقرار الكلّي داخل البلاد (3) .

(1) - وليام شالر : " مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م) " , تعريب وتعليق و تقديم : إسماعيل العربي , 1982م , ص 78 .

(2) - نصر الدين سعيدوني و أبو عبدلي , المرجع السابق , ص 260 .

(3) - حمدان خوجة , المرجع السابق , ص 115 .

الولاء الثقافي :

يعتبر الولاء الثقافي هو تلك الصلة بين السلطة العثمانية والطبقة المثقفة المتمثلة في العلماء الذين كانوا يجلسون ويحترمون السلطة الحاكمة من خلال كتابة الرسائل والخطابات التقديرية المعبرة والقصائد الشعرية والمدح من طرف الشعراء والأدباء , حيث تغنوا بهيبة العثمانيين وذلك بالتقرب منهم أكثر وكسب ولائهم وثقتهم حيث كانت مصالح مشتركة بينهما ولكسب رضى الرعية ليتسنى للسلطة الحاكمة مزاولة مهامها دون صعوبات وحواجز داخل البلاد (1) .

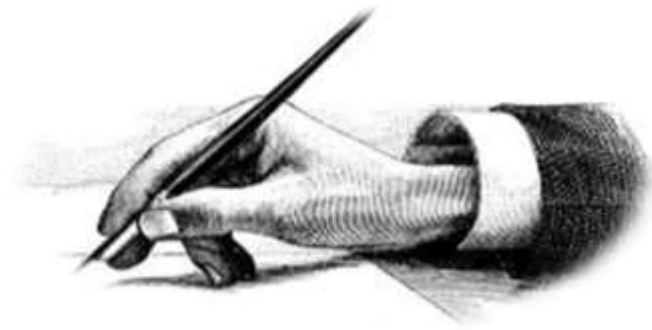
إن تلك الطاعة والإحترام والإنقياد وراء متطلبات السلطة الحاكمة جعلها تحظى بمكانة كبيرة عندها فحازت على إمتيازات عديدة قربتها منها (2) .

إن الولاء الثقافي تمثل في تأليف الكتب التي تمدح السلطة العثمانية والمجهودات التي قام بها العلماء رغم عدم تأييد بعض العلماء ورفض بعض الآخر لها , لكن إستطاعت خلق تقارب وتعاون معها (3) .

(1) - ناصر الدين سعيدوني و أبو عبدلي , المرجع السابق , ص 263 .

(2) - ناصر الدين سعيدوني و أبو عبدلي , المرجع السابق , ص 264 .

(3) - تزارف هجيرة : " سر العلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية من خلال نموذج ايلالة الجزائر " , المجلد 2 , العدد 4 , 2020 م , ص 97 .



المبحث الثاني : مراحله و مظاهره

المطلب الاول : مرحلة التقارب و التعاون من القرن 16 الى القرن 18

المطلب الثاني : مرحلة التباعد والتصادم نهاية القرن 18
إلى غاية 1830 م .

المبحث الثاني : مراحل الولاء ومظاهره**المطلب الاول : مرحلة التقارب و التعاون (من القرن 16 الى القرن 18)**

إن دخول العثمانيين للجزائر و نجاح حكمهم فيها و إستمرار بقائهم مرتبط بقدرتهم على التقرب و التعامل مع تلك القوى المحلية من مرابطين و شيوخ زوايا وطرق صوفية , وقد شكل هذا الإتصال أهمية سياسية كبيرة من خلال التأسيس للسلطة الشرعية في الجزائر المستمدة من تأثير العنصر الديني على المعطى السياسي , وقد ساهمت الصلة التي كانت موالية للسلطة من رجال دين و علماء وشيوخ وطرق صوفية في مختلف المجالات السياسية والدينية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية (1) .

أدرك العثمانيون منذ بداية تواجدهم في الجزائر قدرة السلطة الدينية الهائلة التأثير على المجتمع الجزائري و التحكم فيه وهذا ماعدت له السلطة العثمانية إلى التقرب منهم و لربط الصلة فيما بينهما وجعل المصالح المشتركة تخدم الطرفين , و هذا ما جسده في ملامح الإنسجام و التوافق و التعاون المتمثل في الولاء الذي نشأ بإختلاف إتجاهاته (2) .

أ - الولاء السياسي :

شهد التاريخ الجزائري مع بداية القرن السادس عشر تقارب بين الجزائر و الدولة العثمانية حيث نشأت رابطة ودّ و ثقة بين السلطة الحاكمة و القوى المحلية المتمثلة في الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا و المرابطين و العلماء , حيث كانت العلاقات بينهما علاقة إستجداد و ليست غزو على غرار بعض الدول ضد الحملات الإسبانية المحدقة بهم .

(1) - أبو القاسم سعد الله : " تاريخ الجزائر الثقافي " , الجزء 1, دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1998 م , ص 92.

(2) - تزاف هجيرة : " سر العلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية من خلال نموذج إيالة الجزائر " , المجلد 2, العدد 4 , 2020 م, ص 96.

و هذا ما نتج عنه ثقة و ولاء بينهم والذي كان قائما أساسا على الوحدة السنية العقائدية المالكية و الحنفية التي شكلت نموذجا للتعايش بين المجتمع الجزائري والأتراك العثمانيين الذين حكموا البلاد دون سعي طرف لأخر أو إلغائه⁽¹⁾.

مما نرى حب الأتراك للتصوف جعلهم يميلون إلى تقديس أهل الإيمان بصدق ولايتهم و للأحوال التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في تلك الفترة من إحتقار و تخلف و ظلم و طغيان جعلهم يترتمون في أحضان الصوفية التي لا تقوم بأكثر من الترتيب و التخدير مما جعلهم يعيشون في غير واقعهم كما كان السلاطين العثمانيون يعتمدون على دعم الدراويش عسكريا و ماديا و معنويا أثناء محاولتهم بسط هيمنتهم و توسيع سيطرتهم⁽²⁾.

إنّ الضعف و الإنحطاط داخل البلاد جعل القبائل و الزعماء و الطرق الصوفية يتمتعون بالإستقلالية وذلك للجوء إلى السلطة العثمانية و التقرب و التودد لها , و كذلك القرارات التي إتخذها خير الدين إزاء الإرتباط بالباب العالي في إسطنبول إذ طلب رسالة إستغاثة لسليم الأول كان مضمونها الإستهلال بمشاعر الوفاء و الطاعة و الخضوع للسلطة الحاكمة و الدعاء بالنصر للسلطان و هي رسالة موجهة بإسم جميع الطبقات من القضاة و الخطباء و الأعيان و المجتمع الجزائري⁽³⁾.

ومن خلال تقديم الهدايا أدى إلى إرتباط الحكام الجزائريين إرتباط روحي عاطفي بالدولة العثمانية حيث كانوا يتنافسون في تقديمها مقارنة بما يقدمه بعض الولاة , تلك الإسهامات أدت إلى ربط العلاقات و توطيدها مع الإيالة الجزائرية و الدولة العثمانية ليس هذا و حسب , بل حتى الوكلاء كان لهم دور في ذلك بنقل أخبار عن التغيرات التي تحدث داخل البلاد من تعيينات في الوظائف و المناصب العليا و جمع مدخولات الأوقاف في متابعة و دعم وكلاء الأوجاق الموجودة في مختلف أنحاء الإيالة , فأصبحوا بذلك بمثابة خط بريدي يضمن الإتصالات بين الباب العالي و الإيالة الجزائرية⁽⁴⁾ .

(1) - محمد الأمين بلغيث , المرجع السابق , ص 44.

(2) - أحمد توفيق المدني : " كتاب الجزائر " , المطبعة العربية , الجزائر , 1931 م , ص 37 .

(3) - أحمد توفيق المدني , المرجع السابق , ص 40.

(4) - أبو القاسم سعد الله , المرجع السابق , الجزء 1, ص 94.

ب - الولاء الديني :

شكل الرابط الديني عاملا مهما في السياسة التي إتبعتها السلطة العثمانية في إستمالة و كسب تأييد السكان عن طريق توظيف مصطلح الجهاد ضد القوى الأجنبية و إستغلال رمزية المؤسسات الدينية في المجتمع الجزائري وعلى رأسها الزوايا , حيث عرفت الجزائر في الفترة العثمانية إنتشارا واسعا للمؤسسات الدينية التي أدت الى أدوار إجتماعية و سياسية و ثقافية مفصلية لإعادة التوازن بين الطرفين , حيث كان يتطلب من السلطة العثمانية التقرب من المرابطين و شيوخ الزوايا و العلماء لتحقيق الثقة بينهما حفاظا على المصالح المشتركة القائمة بينهما , ومن مظاهر التقارب تقديم النذور و الوعدات للأولياء و المرابطين و الإستعانة بهم في ضبط أحوال المناطق المسيطرة عليها⁽¹⁾.

كما كان تبرك بزيارة مقابر الأولياء و المرابطين التي يرقد فيها , و ملجأ لهم و الإحتماء بها من كل خطر يحدق بهم , وقد أفرز تجذرا لفكرة أو مبدأ الولاية و الخضوع للسلطة شيخ القبيلة و تقديس الأولياء من الصالحين و المرابطين و الشرفاء بإعتبار و جودهم ضروري للجوء إليهم في أمورهم الدينية و الدنياوية و بذلك يجوز الطاعة المطلقة⁽²⁾.

يعتقد السكان أن كل دعاء لهم مقبول عند الله عز و جل وعليه كثير ما سميت بعض المدن و القرى بأسماء الأولياء , كما كانت تقام الخطب في المساجد التي يمجّد فيها السلطان العثماني وما قام به إتجاه الجزائر في الإحتفال بالمناسبات الدينية و يذكر إسمه في المنابر كخطبة الجمعة إعتباره بمثابة القوة التي تسهم في الارتباط السياسي بالعالم الإسلامي⁽³⁾.

(1) - حمدان خوجة , المرجع السابق , ص 100

(2) - شكري رشيدة : "السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية " , رسالة دكتوراه العلوم , جامعة

الجزائر , سعد الله , تاريخ الجزائر الثقافي , الجزء 1, ص 21

(3) - فيلاي الطاهر : " نشأة المرابطين وطرق الصوفية في الجزائر خلال العهد العثماني " , دار الفن الفرانكيري , باتنة , الجزائر 1976م , ص 48-49 .

عمل دور السلطة الدينية عاملا هاما في إدارة و تثبيت السلطة السياسية عن طريق تقديم النصح الإرشاد لصالح العثمانيين وربط الثقة بينهم وبين المجتمع الجزائري على اعتبار رمزية الجانب الديني و تجذره في المجتمع المحلي .

ومن جهة عملت على الابتعاد عن العلاقة بين السلطة العثمانية و المجتمع عن طريق توظيف القوة في جباية الضرائب , حيث إستمالت القوى الدينية من خلال العديد من الأليات لكسب المزيد من التأثير و الدعم من السلطة الدينية.

إستطاعت السلطة العثمانية كسب ولاء أغلبية القوى المحلية من مرابطين و شيوخ زوايا و علماء وطرق صوفية وهذا ما نستشفه بدور الإيجابي في المرحلة الأولى من الحكم العثماني بالجزائر و الذي لعبته القوى المحلية بعد تأييد السلطة العثمانية لها سواء في مجالها القبلي أو علاقتها بالسلطة حيث ساعدت هذه القوى على مدى نفوذها بسلاسة في المناطق البعيدة سواء في المدن أو الأرياف ونذكر من بينها : (1)

أ- المرابطين و شيوخ الطرق الصوفية :

لعب دور المرابطين و الطرق الصوفية خاصة في المناطق التي تعرضت للغزو الإسباني في إصلاح ذات البين و نشر الأمن , كما كان لهذه المناطق التي يتمتعون بها من نفوذ روحي , حيث نشط شيوخ الزوايا في توعية السكان و توجيههم في الجانب الروحي و الثقافي بأن قاموا بتعميق نشر الدين الإسلامي (2).

لقد إمتد دور المرابطين بإثارة الحماس ضد الغزاة الإسبان و تنبيه الحكام العثمانيين و نصحهم كما فعل المرابط " حسن متریانوا " للأعمال الشنيعة و القوة المفرطة التي إعتبرها المرابط " سيدي بوطيب " تعديا على السلطة العثمانية الحاكمة فأشتكى عليه كما رفض " سيدي بوزيد " إستضافة جندي عثماني لتجبره والإعتداء عليه وهذا التجبر على نفوذهم الروحي وعلى العامة (3).

حيث أشار " الونشريسي " على أن بعض المرابطين أقاموا بالأماكن المخولة لتأمين السبل كما حملوا القوافل و مراقبة الأمن العام , كما ذكر كذلك ليون الإفريقي عندما أشار أن من

(1) - شدري رشيدة : المرجع السابق , ص 24 .

(2) - ابن مريم , محمد بن أحمد الشريف : المرجع السابق , ص 138.

(3) - شدري رشيدة , المرجع السابق , ص 25.

أراد عبور ضواحي مدينة الجزائر سواء من الغرباء أو الأهالي فعليه مصاحبة مرابط ليؤمن له الطريق كما كان شيخ الطريقة الشاذلية " أحمد بن يوسف الملياني " يقوم بوظيفة صاحب الشرطة و يسعى لتمكين إسترجاع ما سرق منهم⁽¹⁾ .

وعمل المرابط " سيدي أحمد بن بوزيد " بعد فتنة في قسنطينة على إعادة الممتلكات التي سرقها اللصوص من السكان .

إنّ الحامية العثمانية عند توجهها الى بجاية كانت تصطحب معها مرابط لتأمين الطريق و إصلاح ذات البين و مثال ذلك " سيدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان اليعقوبي ذو الكرامات " فقد أصلح بين أولاد طلحة في الغرب الجزائري عندما عارضهم أحدهم فدعى اليعقوبي عليه فصار يئن ويتوجع حتى مات⁽²⁾ .

نرى أن شيوخ الطرق الصوفية عند فك النزاعات القبلية تكون عن طريق التهديد بالعقاب السماوي فإذا ضاق ذرع الولي هلك من يؤذيه في الحال مثل دعاء المرابط " سيدي محمد قدار " على أولاد هبرة لتعرضهم للمهاجرين الأندلسيين فكان مصيرهم الإنقراض بفعل هجمات قبلية بين السويد والإسبان⁽³⁾ .

ذكر الفكون أن جده قام بإيجاز من الحكام العثمانيين بمهام سياسية بين هؤلاء وبين الأعراب المتغلبة على البلاد , حيث أوكل الحكام العثمانيين لشيوخ الزوايا مهمة دمج مجتمع البدو و القبائل المحاربة و المحافظة على ولائهم و إيقاف التمردات .

يتجلى دور رجال الدين من مرابطين وشيوخ طرق الصوفية في إرساء حكم العثمانيين بالجزائر و إخماد العديد من التمردات و الحركات المعادية للسلطة , كما عملت على ربط الأرياف و المناطق الغير خاضعة للإدارة المركزية وهذا عن طريق تكوين روابط متينة بينهم , وكذلك عن طريق مصاهرة بعض الأتراك للعائلات النافذة الإقطاعية و المرابطة لكسب تأييد السلطة الحاكمة لها⁽⁴⁾ .

(1) - ابن مريم , محمد بن أحمد الشريف : " البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان " , الطبعة الثعالبية , 1958 م , ص 134 .

(2) - ابن مريم , محمد بن أحمد الشريف : المرجع السابق , ص 136 .

(3) - فيلاي الطاهر , المرجع السابق , ص 51 .

(4) - أحمد توفيق المدني , المرجع السابق , ص 42-43 .

إن النتيجة المترتبة على السياسة الحكم العثماني بالجزائر و علاقتها بالقوى المحلية في إزدياد عدد الزوايا والمساجد و الأوقاف , كما برزت حركة صوفية مرابطية واسعة النطاق تحكمت في كل الأوضاع السائدة وهيمنتها⁽¹⁾ , حيث سمحت للقائمين عليها بممارسة القضاء الذي كان أحد الأساليب الرئيسية لإشراكهم في دواليب السياسة. إكتسب رجال الدين من مرابطين و شيوخ طرق صوفية لدى السلطة العثمانية مكانة معنوية روحية هامة, حيث عرف العثمانيون الدور المهم الذي يمكن أن يؤديه المرابط أو شيخ الطريقة الصوفية فقربوهم إليهم وأصبحوا يستشرونهم ويشاركونهم في كل المسائل المتعلقة بالسلطة , كما خصصوا لهم جزء من مداخيل الجهاد البحري ومنحوهم إمتيازات متعددة لأنهم أدركوا أهمية تجذرها في الحياة العامة مما دفعها لإحتوائها و التصالح معها⁽²⁾.

ب - العلماء :

كان للعلماء دور مهم في تثبيت الوجود العثماني بالجزائر وإعطاء مصداقية شرعية للمواقف السياسية التي إنتهجها الأتراك في الداخل و الخارج وجعل منهم مستشارين لهم في الكثير من القضايا السياسية و الدينية , الأمر الذي أدى إلى تحالف قوي بينهم ساهم في تذليل الكثير من العقبات التي تعرقل مسار الدولة العثمانية في الجزائر , كما قام العلماء بتلك المهام في جميع مناحي الحياة السياسية و العلمية و الدينية وحتى العامة منها من خلال المكانة التي تمتعوا بها عند الحكام و تبؤهم مراتب و منازل كبيرة و تأثيرهم في دعم أركان الدولة ومساندة نظام الحكم العثماني⁽³⁾.

إن العلاقة بين السلطة الحاكمة و السكان كانت مؤطرة بتعامل السلطة المباشر مع العلماء حيث كان ينقلون أحوال الرعية ويتدخلون في التوسط لحل بعض الأزمات بينها و بين الرعية و بالتالي كان عليها كسب ولاء هؤلاء العلماء الذين يحظون بنفوذ كبير سيما

(1) - أحمد توفيق المدني , المرجع السابق , ص 45 .

(2) - طاهر الفيلاي , المرجع السابق , ص 53 .

(3) - أبو القاسم سعد الله , المرجع السابق , ص 100.

أولئك المنحدرين من بيوت دينية و علمية عريقة , حيث إعتمدت على عدة رسائل مادية و معنوية إزاء خدمتها⁽¹⁾ .

أدرك العثمانيون منذ بداية تواجدهم بالجزائر قدرة العلماء الهائلة في التأثير على العامة ولهذا عمدوا إلى التقرب منهم و الرفع من شأنهم و إستشارتهم و الأخذ برأيهم كما ذكر حمدان خوجة : " لم يكتف الأتراك بأن فرضوا على أنفسهم احترام هؤلاء المرابطين , وانما يقدمون لهم أكبر الإمتيازات وأثمنها وصارت أماكن سكنهم وضرائحهم بعد الموت مقدسة , كما أن القانون لا يمس كل من لجأ إليها " .

وعليه جعل من العثمانيين بالجزائر التقرب من العلماء والمرابطين و طلب دعواتهم كلما أقبلوا على أمر راشد و الرفع من منزلتهم وتجنب إيذائهم و إغضابهم⁽²⁾ .

إنّ الأمثلة الدالة على ذلك احترام السلطة للعلماء منها الرسائل التي كان يوجهها إليهم الحكام بعبارات التقدير و التعظيم ولعل أبرزها ما وجهه الباي محمد الكبير للطلبة و العلماء بوهران وقد وصلت درجة الإحترام لمعاقبة أي مسيء لهم :

كما نرى تلك المكانة التي حظي بها العلماء من طرف الحكام في القضية التي واجهت طلبة العلم المرابطين بوهران حول دفن رفاة الشهداء , حيث قرروا نقل رفاة إخوانهم إلى مقرات سكنهم ليدفنوا هناك قرب عائلاتهم ولما سمع محمد الكبير رفض ذلك و أرسل أمره بدفنهم في مكان إستشهادهم إقتداء بسنة الرسول صل الله عليه و سلم⁽³⁾ .

من الأدوار التي قام بها العلماء الوساطة بينها وبين السلطة الحاكمة و الرعية فأصبحت حلقة وصل بين الحاكم و المحكوم لتأثيرها على الأوساط الشعبية , حيث أصبح اللجوء إلى العالم أمرا ضروريا عند حدوث نزاعات بين القبائل كما كانت السلطة بحاجة لمساندتهم ودعمهم ونجد من بين العائلات التي قربتها إليها عائلة الفكون وأحمد بن يوسف الملياني و غيرهم لأنهم كانوا يمثلون الرأي العام⁽⁴⁾ .

(1) - ترسنجهام سبنسر : " الطرق الصوفية في الإسلام " , ترجمة : عبد القادر البجراوي , طبعة 1 , دار النهضة , بيروت , 1997 , ص 356 .

(2) - حمدان خوجة , المرجع السابق , ص 111-112 .

(3) - ترسنجهام سبنسر , المرجع السابق , ص 358 .

(4) - حمدان خوجة : المرجع السابق : ص 115 .

أسند للعلماء عدة وظائف دينية و علمية كالإفتاء و القضاء و الخطابة و الإمامة بالإضافة الى التعليم بمختلف مراحلته ونذكر على سبيل المثال عائلة الكتروسي التي دعمت نفوذها بمازونة , و قدم لها بايات الغرب كل الصلاحيات لإدارة المدينة حيث تولى أفرادها مناصب دينية علمية رفيعة , حيث منحت السلطة العثمانية إمتيازات عديدة لتلك العائلات بغض النظر على الوظائف المخولة لها ومكانة التبجيل أعفتها من الضرائب حيث لا يقاسون بما يقاس به غيرهم من إلتزامات إتجاه السلطة الحاكمة (1).

إن إحتكاك العثمانيين بفئة العلماء و التقرب لهم سمح لهم بمعرفة مدى تأثيرهم على عامة الناس وقدرتهم على حشد العامة عند الضرورة وعملوا على إستغلال هذا التأثير لحشد الطاقات المحلية , وهذا ما نلمسه من خلال شهادات بعض المؤرخين "عبد الكريم الفكون" مثلا يؤكد ترجيح السلطة العثمانية في الجزائر لخيار التقارب معهم و التعويل على خدماتهم ضمن خططهم الرامية لكسب ولاء القبائل ومد جسور التفاوض في الريف أكثر منه في المدينة مقارنة بالسكان المحليين (2) .

(1) - شجري معمر رشيدة : " العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر فترة الديات 1671-1830 " , مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ الحديث , جامعة الجزائر , 2005-2006 م , ص 159 .
 (2) - محمد الصالح العنثري : " فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة و إستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة " , مراجعة وتقديم وتعليق : يحيا بو عزيز , ديوان المطبوعات الجامعية , 1991م , ص 27 .

ج - الولاء الإقتصادي :

تمثلت مظاهر الولاء الإقتصادي في المساهمات المالية التي تنوعت و اختلفت تسميتها فأرتبطت بوضعية الأرض و نوعية حيازتها و كيفية إستغلالها و علاقة سكانها بالحكام⁽¹⁾ .

- تدفع العشور و الزكاة : من إنتاج أراضي الملكية الخاصة وهي تساوي مبدئيا عُشر المحاصيل بالنسبة للعشور و يدفعه الجميع⁽²⁾ , و توضع مقادير تلك الأعشار و الزكاة في صندوق الخزينة , لدفع مرتبات الجيش و الإعتناء بالفقراء و تربية الأيتام و دفع أجور القضاة... الخ⁽³⁾ .

- وتدفع ضيفة الباي ببابليك الشرق و في بابليك الغرب تعرف بإسم ضيفة الدنوش , و بمداخلها يشتري الباي أغلب الهدايا التي يقدمها إلى الداوي ويحدد الباي قيمتها سنويا حسب أهمية القبيلة و محاصلها , جزء منها يدفع صيفا و الجزء الآخر شتاء⁽⁴⁾ .

- كما تدفع ضيفة الداوي و ضيفة دار السلطان : الأولى تدفعها المدن الصغيرة التي لا نوبة فيها , و الثانية تقدم للأغا عن طريق شيخ البلد بمناسبة إستقلال النوبة و تختلف من مدينة إلى أخرى حسب أهميتها⁽⁵⁾ .

- عدم مقاطعة الأسواق التي أقامتها السلطة و كانت هذه الأسواق تفرض دفع رسوم تعرف بإسم المكس وهي تختلف من بابليك إلى آخر كالحيوانات و غيرها التي تدخل المدن بقصد البيع⁽⁶⁾ .

و الإكتفاء بدفع جباية الزكاة و العشور في حين ألزمت قبائل الرعية الخاضعة مباشرة للبابليك بتقديم الضرائب الإضافية بجانب أداء رسوم الزكاة و العشور , و إعفاء قبائل المخزن من الضريبة الإضافية الذي حظيت بها وميزتها عن بقية السكان , لم تكن قاعدة

(1) - ناصر الدين سعيدوني : " الجزائر في التاريخ العهد العثماني , المرجع السابق , ص 32

(2) - صالح عباد : " الجزائر خلال الحكم العثماني " , المرجع السابق , ص 346

(3) - حمدان خوجة : المرجع السابق , ص 105 .

(4) - صالح عباد : المرجع السابق , ص 347

(5) - صالح عباد : نفس المرجع , ص 340

(6) - صالح عباد : نفس المرجع , ص 340

عامة ولا حكما شاملا , إذ نجد بعض الإستثناءات و أصبح لزاما على بعض القبائل المخزنية من أن تساهم بقسط من الواجبات المالية , وما تقدمه من زكاة وعشور وبعض الإسهامات المالية كانت تدفع في شكل إنتاج عيني من نوع المحصول , أما ما تقدمه قبائل الرعية من ضرائب فكان يتم في شكل مبالغ نقدية ⁽¹⁾ , ويتم فرض هذه الضرائب من أجل تمويل دخل الخزينة العامة للدولة ⁽²⁾ .

أما الوضعية المعيشية لهذه القبائل فقد كانت العائلات التي تنتمي إلى المخزن كثيرا ما تتمتع بالأمن و الحماية و تعيش في مأمن من الغارات و التعديات التي تكاثرت في أواخر الفترة العثمانية ⁽³⁾ .

وإزداد لجوء السلطة للضرائب و قبائل المخزن بعد ضعف البحرية وزيادة إرتباط الحكام بداخل البلاد , وإعتمدوا في تلبية متطلبات جهازهم الحكومي على المصادر المحلية التي توفرها المقاطعات (البايليكات) ⁽⁴⁾ .

- لقد حالت الحروب بين الجزائر و الدول الأوربية دون تصدير المنتوجات إلى الخارج بكميات منتظمة , كما أن الأسواق الداخلية حكم عليها بالنضوب بسبب هذه الضرائب , وهذا النضوب أثر على مستوى منتوجات الصناعة اليدوية , لأن إنعدام الأسواق الواسعة حال دون أن تتطور تلك الصناعات ⁽⁵⁾ .

(1) - ناصر الدين سعيدوني : "ورقات الجزائر " , المرجع السابق , ص 214-215 .

(2) - عمورة عمار : المرجع السابق , ص 107 .

(3) - ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 216 .

(4) - ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 143 .

(5) - الملي : " تاريخ الجزائر الحديث " , المرجع السابق , ص 309 .

د- الولاء الاجتماعي :

إتخذ المجتمع الجزائري في العهد العثماني تركيبا هرميا من حيث الإمتيازات والمكانة , فكان على رأس هذا الهرم الفئة التركية ضئيلة العدد وكثيرة الإمتيازات (1) . وقد إختلط البعض منهم مع أهلها إختلاط متينا وكانوا في أغلب الأحيان مثال للكمال والفضيلة , وهم الذين أوقفوا الأوقاف الطائفة على مشاريع البر و الإحسان وشيدوا المساجد وكثرت مصاهراتهم مع أبناء البلاد , فنشأت منهم طبقة الكراغلة (2).

وقد أسهم الزواج في ربط العلاقة المتينة بين المجتمع الجزائري والعثمانيين , من أجل تحقيق مصالح مشتركة فقد تزوج إبراهيم بركباشي ابن مصطفى التركي بسلطانة بنت الداوي عبيدي باشا وكذا مصاهرة عائلة الملياني مع حسن باشا ومصاهرة عائلة ابن جلول لصالح باي التي توارثه القضاء الحنفي , كما أكد "دي باردي" : " بأن القبائل المحلية كانت تسعى للإرتباط بالإنكشارية عن طريق المصاهرة ليكن حاميا لها في حين كان اليولداش يسعى بالزواج من الفتاة المحلية الثرية لتحسين وضعيته المزرية مثلما فعله حسن بلكباشي التركي ابن مصطفى حين تزوج بفاطمة بنت عثمان , كما إرتبط إسماعيل منزول اغا بن رجب بأمنية بنت محمد خوجة (3) .

ويعتبر " الباي أحمد القلي " من أبرز البايات التي طبقت سياسة المصاهرة وشجعته بين مختلف العناصر ذات النفوذ السياسي والإقتصادي بالبايليك , فقد تزوج الشيخ سليمان بن قانة ثم تزوج مرة أخرى من ابنت الحاج بوزياد المقراني بسبب عقم الأولى وبذلك ضمن الباي ولاء القبيلتين القويتين (4) .

وقد صاهر رجب بايليك قسنطينة (1084هـ-1673م) قبيلة الذواودة الصحراوية من فرع أسرة "علي بن سخري بوعكاز" , وسخر لها كل الظروف حتي تصبح فرع إداري يسير تلك المنطقة وهي من جهة أخرى تضمن ولاءها لها لما تتمتع به من نفوذ سياسي

(1) - ناصر الدين سعيدوني " الجزائر في تاريخ العهد العثماني " , المؤسسة الوطنية للكتاب , ص111

(2) - توفيق المدني " كتاب الجزائر " , ص35 .

(3) - عبد الجليل رحموني "العلاقة بين السلطة المركزية وبايلك في الجزائر العثمانية" , أطروحة الدكتوراه , جامعة جيلالي سيدي بالعباس , الجزائر 2020 , ص 264.

(4) - حياة محروق " علاقة السلطة بالسكان في الجزائر خلال العهد العثماني .

وعسكري , وقد ساعد نشاطها الزراعي والرعي من تموين الأسواق الريفية والحضرية (1) .

كما صاهر الباي صالح باي بايليك قسنطينة 1710م من قبيلة آل مقران , حيث زوجه بناته الثلاث لقيادات أسرة آل مقران ومنهم الحاج بن بوزيد كبير آل مقران , وما دفع الباي إلى مصاهرة آل مقران هو علمه بمكانة التي يتمتعون بيها ونفوذهم في بني عباس وتحصيناتهم الطبيعية وسلطتهم الدينية وأعمالهم الخيرية والتعليمية , وتواصل معاملاتهم السياسية والعسكرية معا البايليك ومهاراتهم الحرفية في صناعة الأسلحة وإملاكهم الأبراج المراقبة التي مكنتهم من حراسة ممرات وطرق جبل الببيان (2) .

إلا أن رفض المصاهرة في بعض الأحيان قد يؤدي إلى مشادات عسكرية , كما جرى مع حسن باشا بن خير الدين الذي رفض مصاهرة عبد العزيز الأمير , ويرجع بعض المؤرخون رفض الأمير عبد العزيز مصاهرة الحكام العثمانيين إلى جملة من الأسباب منها رغبته في إقامة إمارة مستقلة عن الحكام العثمانيين , الشيء الذي أدى بحسن باشا إلى إستعمال القوة , فقام بتجهيز حملة على القلعة إنتهت بمقتل الأمير عبدالعزيز (3) , وقد لاحظ " بنانتي " " pananti " التحضيرات لزواج مدني لدى زوجين من البورجوازية العليا لمدينة الجزائر والذي إستمر أكثر من سبعة أيام (4) .

تحسن الأحوال المعيشية والصحية والإلتزام بالحجر الصحي الذي قال فيه ابن حمدوش : " قدم علينا مركب من الإسكندرية بالحجاج وفيه الوباء فمنعهم الباشا الدخول حمية من أن يقوم ممرض على مصح إلى ثماني عشر أذن لهم في الدخول بعد تحقيق سلامتهم من المرض " (5) .

-
- (1) - محمد العربي زبيري " مذكرات أحمد باي " , الشركة الوطنية للنشر , الجزائر , ص 184 .
 - (2) - حسان كشرود " رواتب الجند وعامت الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية و الإقتصادية بالجزائر 1614-1830م " , مذكرة ماجستير , جامعة منثوري قسنطينة الجزائر 2008م , ص 185 .
 - (3) - عبد الجليل رحموني , مرجع السابق , ص 263 .
 - (4) - وليم سبنسر " الجزائر في عهد رياس البحر " , دار القصة للنشر , الجزائر , ص 117 .
 - (5) - عبد الرزاق ابن حمدوش " رحلة ابن حمدوش " , تقديم المؤسسة الوطنية للفتوى , الجزائر 1983 , ص 121 .

توسع المدن والمحافظات على نشاطها مثل تلمسان وقسنطينة وتأسيس مدن جديدة وهذا ما أكدته حسن الوزان 1529م عن تطور العمراني الذي عرفته المدن , فقد ذكر أن تلمسان بها 13000 موقد والجزائر 4000 موقد وقسنطينة 6000 موقد وبجاية 8000 موقد .
وإنتشر العمران بالفحوص فأصبح سهل متيجة ومرتفعات الساحل الغربية من الجزائر تضم ما يقدر ب 2000 منزل ريفي حسب وصف بيصونال 1725م , وتحولت البلدة والقلعة وشرشال ودلس ومدينة الى مراكز عمرانية مهمة (1) .

(1) - ناصر الدين اسعيدوني " الأوضاع الاقتصادية و الإجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر تونس , طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري , ومن القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي " , قسم التاريخ كلية الأدب , جامعة الكويت , ص46 .

هـ - الولاء الثقافي :

تعددت مظاهر الولاء الثقافي في الجزائر أثناء العهد العثماني و يظهر ذلك من خلال المساهمات , خاصة المساهمات المؤسسات الثقافية , حيث قامت هذه المؤسسات بالإضافة إلى دورها العلمي و الديني إلى القيام بدور أساسي في المجتمع , فهي ذات سلطة روحية و دينية و سياسية (1) منها :

- دور المؤسسات الثقافية :

- الزوايا التي قويت شوكتها و عظم نفوذها الروحي و إتسعت دائرة عملها و تعددت أنشطتها و صار الحكام يتقربون منها ويتحالفون معها , لما كان يتمتع به شيوخها من شعبية في وسط الرعية , وما كانوا يحضون به من سمعة طيبة و تقدير و إحترام , وما كانوا يتصفون به من إستقامة و تقوى وصلاح و عزة النفس (2) .

- أما الأوقاف توزعت على عدة مؤسسات دينية لها إطارها القضائي المعترف به مثل مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين مكة و المدينة المنورة , و التي كانت عوائدها تنفق على المساجد ويرسل جزء منه إلى الحرمين الشريفين مع ركب الحجاج , ويصرف الباقي منه على القائمين على الإدارة وبعض المحتاجين, أما مؤسسة سبل الخيرات المخصصة للإنفاق على المساجد الحنفية و التي بلغ عددها في مدينة الجزائر ثمانية مساجد ويعود إليها مردود ثلاثة وثلاثون وقفا يخص الأتراك و الكراغلة و المنتسبين للمذهب الحنفي (3) .

- مكانة العلماء :

- لعب العلماء دورا محوريا في تاريخ الجزائر العثمانية , حيث كانت هذه الفئة تعتبر ملاذا هاما للدايات و البايات من أجل فرض الشرعية على حكمهم , كما شكل الوضع الذي كانت تعيشه الجزائر نتيجة تكالب القوى المعادية عليها مكانة سياسة و إجتماعية

(1) - عميدوي حميدة : "دراسات في التاريخ الجزائري الحديث " , طبعة 2 , دار الهدى , الجزائر , 2004م , ص 138

(2) - صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر , ص 306 .

(3) - ناصر الدين سعيدوني : "الجزائر في التاريخ العهد العثماني" , المرجع السابق , ص 25 .

يسرت لها الحصول على العديد من الإمتيازات (1) , خاصة الفقهاء الذين أصبحوا بوضعية ممتازة و مكانة مرموقة نظرا لصلتهم بالحكام وإرتباطهم بالجهاز الإداري و إعتمادهم على مردود الأوقاف و تأثيرهم على الرعية و تحكمهم في جماعات الطلبة و العاملين في المؤسسات الدينية (2) .

ولما عرفوا مكانتهم عند البايات شاركوهم السّراء و الظّراء فهم يهنؤون الفائز و يعزون المحزون ونحو ذلك من المواقف التي حافظت على العلاقات الودية بين الطرفين (3) . وكان شيخ الإسلام ورئيس سلك القضاء عادة من المذهب الحنفي , وأول من جاء في هذا المنصب الشيخ محمد بن يوسف 1613م وبسبب تمسك الرعية بالمذهب المالكي إضطرا الحكام إلى بناء أو تخصيص بعض المساجد للمذهب الحنفي كالجامع الجديد 1660م , ليبقى الجامع الأعظم المجاور له مقرا لهيئة العلماء المالكية و أدى ذلك إلى إقرار ازدواجية السلك القضائي (4) .

- إبتاع مبدأ التسامح :

إن تطبيق مبدأ التسامح الذي إتبعته السلطة إزاء الرعية عند رد التمردات و الإكتفاء بالقضاء على رأس التمرد , حيث كانت السلطة تبادر إلى رد الإعتبار إلى الرعية وكان الهدف من ذلك هو التأثير على نفوس الرعية وجعلهم يبدون ولائهم طوعية للسلطة (5) .

- إستغلال الدين الإسلامي كوسيلة للبقاء في الجزائر :

لقد حافظت السلطة العثمانية في التأكيد على إنطباع المدافع عن الدين و المجاهد في سبيل الله من خلال إستمرارهم في سياسة التصدي للإسبان طيلة فترة وجودهم مما أكسبهم محبة الرعية (6) , و عن هذا يقول خير الدين في مذكراته إن أهالي الجزائر يحبوننا وهم يعرفون جيدا قيمة النعمة التي يعيشون في كنفها منذ أن حللنا ببلدهم فقد

(1) - عبد الرحمان الحيلاني بن رقية التلمساني : "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر أغار عليها جنود الكفرة " , أوراق ثقافية للنشر و التوزيع , ص 29 .

(2) - ناصر الدين سعيدوني " الأوضاع الإقتصادية " , المرجع السابق , ص 83

(3) - أبو القاسم سعد الله : "تاريخ الجزائر الثقافي " , المرجع السابق , ص 422

(4) - - ناصر الدين سعيدوني , المرجع السابق , ص 83 .

(5) - محمد دراج , المرجع السابق , ص 379

(6) - محمد دراج , نفس المرجع , ص 379 .

إستطعنا أن نوحّد إمارات و قبائل هذا البلد الكبير وزدهرت التجارة مرات كثيرة و أمن المسلمون من ظلم الإسبان فصاروا يسировون مرفوعى الرؤوس وذلك لأنهم تابعون لأكبر سلاطين الدنيا (1) .

- نضم قصائد المدح :

لقد تمحور الشعر السياسي في المدح خاصة حول الجهاد الذي أصبح عند بعض الشعراء هو ميزان الولاء و الثورة ضد العثمانيين , وقد قيل الكثير من الشعر في التحريض على الجهاد و في التهئة بالنصر , فمن الذين مدحوا حسن باشا ابن خير الدين على فتح حصن المرسى وهران الأعلى و هروب الإسبان الى الأسفل منه الشاعر عبد الرحمان بن موسى في قصيدته التي مطلعها .

هنيئاً لك باشا الجزائر بالغرب بفتح أساس الكفر مرسى قرى الكلب(2).

وفي فتح وهران الأول سنة 1115 هـ الموافق ل 1708 م إنطلقت السنة الشعراء فقل في محمد بكداش مالم يقل في أي حاكم في الجزائر خلال العهد العثماني نتيجة إنتصاره على الإسبان ولعل من أسباب رضا الشعراء عنه إدراكه لنفسياتهم و قضاء حوائجهم وتقديم العلماء إليه (3) .

وعن هذا الفتح يقول التغريبي في قصيدته :

وجاءنا الفتح ونصر الله	ثم بعد العزم من الاله
ومئة من بعد الف تعتبر	ففتحت سنة تسعة عشر
جنة كل قاطن و زائر	عن بد من قد صير الجزائر
وحسن صهره عالي الصولة	محمد بكداش فخر الدولة

وقيل في هذا الفتح عدة قصائد ذكرها محمد بن ميمون في كتابه التحفة المرضية في الدولة البكداشية وأبوراس الناصر في مختلف كتبه (4) .

(1) - خير الدين بربروس : " مذكرات خير الدين بربروس " , طبعة 1 , ترجمة محمد دراج , شركة الأصالة للنشر و التوزيع , الجزائر , 2010 م , ص 108 .

(2) - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي , المرجع السابق , ص 255 .

(3) - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي , نفس المرجع , ص 257 .

(4) - مسلم بن عبد القادر : " أنيس الغريب و المسافرين " , الشركة الوطنية للنشر , 1974 , الجزائر , ص 16 .

ويقول البوني في مدح محمد بكداش :

ياسيدي محمد	بكداش نجل الأمجد
على الولي الرضى	الهاشمي الأمجد
قد سدت كل ملك	وفقته بأسودد
لقد فتحت وهران	بالعسكري المؤيد
بالنصر والركب معا	وكل سيف ماجد
وسن سلطانهم	بينهم كالأسد

- تبادل الرسائل : وهاهو يوسف باشا يتبادل الرسائل مع بعض العلماء عنابة مثل محمد ساسي البوني , وملخص إحدى هذه الرسائل أن الباشا يقدر البوني كثيرا ويعرف مكانته في بلاده ولذلك أطراه وأشاد به , وطلب عونته كما أخبر به بخطته السياسية والعسكرية وطلب منه التدخل لجلب طاعة الرعية , وذلك أثناء محاولة الباشا القضاء على الثورة ابن الصخري , وقد رد محمد ساسي البوني على الباشا مبديا إستعداده للتعاون ولكنه طلب العفو على أهل عنابة , وأكدت المراسلات على أن الباشا قد إستجاب لطلب الشيخ لمكانته عنده وفي قومه (1) .
- ظهور العديد من القصائد الشعرية و الكتابات النثرية ممجدة لفتح وهران وصاحب الفضل فيه ألف أبوراس الناصر " نفسية الجمان في فتح وهران " كما قيد ابن سحنون الراشدي أطوار الفتح وألف ابن زرقة قصيدته في مدح فاتح وهران محمد الكبير وسماها "الرحلة القمرية في سيرة المحمدية" كما ألف ابن عطل " رحلة محمد باي الكبير الى الجنوب الصحراء الجزائري " (2) .

(1) - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق , ص 412 .
 (2) - ابن رقية التلمساني : "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر أغار عليها جنود الكفرة" , الطبعة 1 , أوراق ثقافية للنشر و التوزيع , الجزائر , 2017م , ص 34 .

- إشادة بعض الشعراء و الأدباء بأعمال بعض الدايات كصالح باي أواخر القرن 18 م باي قسنطينة الذي قام ببعض التدابير من أجل إصلاح المساجد و الأوقاف و محاسبة القائمين عليها من وكلاء , حيث جدد البعض و أنشأ مجالس علمية خاصة للنظر في شؤونها لذا حضي بتمجيد وإشادة الورتيلاني له و كذا بعض الشعراء ومن الشعر ما وجد منقوش على الجامع الجديد وقيل فيه :

لعمرك بيت الله لسري جامع	مشيد أركان به النور ساطع
بدت دونه زهر الكواكب رفعت	به بونه للسعد منها مطالع
به جاء تاج الدين و المجد صالح	الى درج العلياء راق و طالع ⁽¹⁾

(1) - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق , ص 249 .

المطلب الثاني : مرحلة التباعد والتصادم نهاية القرن 18 الى غاية 1830 م

أ- التباعد السياسي والديني :

شهدت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر عدة اضطرابات أثرت على إستقرار نظام الحكم الذي شهد توالي مجموعة من الحكام إلا أن هذا كله لم يمنع السلطة الحاكمة من التحكم في الوضع (1) .

يرى بعض المؤرخون أنّ القرن السابع عشر كان بمثابة عصر ذهبي مقارنة بالمرحلة الأخيرة , وهذا راجع الى طائفة رياس البحر التي كانت تقوم بدور مزدوج يتمثل في تدعيم القطاع الإقتصادي من النشاط البحري , والتصدي للغارات الخارجية من جهة أخرى , لكن كل هذا بدء يتراجع منذ القرن الثامن عشر , وقد تزايدت عوامل الإنهيار وضعف الحكم العثماني , مما انعكس على الأوضاع السياسية و على المستوى الداخلي والخارجي وهذه العلاقة كانت تربط بين الحكام العثمانيين والقوى المحلية لما لها من دور كبير للتحكم في الأوضاع السائدة بالجزائر في مختلف المجالات , وخاصة في الجانب الإقتصادي بالدرجة الأولى (2) .

بالرغم من العلاقة الجيدة التي كانت بين رجال الدين من علماء ومرابطين وطرق صوفية والسلطة العثمانية في المرحلة الاولى من تواجدها , إلا أنه أصبح مسار يتجه نحو التوتر والتفكك والفوضى وهذا ما نتج عنه عدة ثورات التي ميّزت تلك الفترة , وأخذت طابعا شعبيا مؤطرا من طرف السلطة الدينية التي بدأت مصالحها تتضرر من الممارسات السطوية الساعية من تقليص نفوذ المرابطين من جهة , وتحالف السلطة الدينية مع مجموع الأهالي المؤيدين لها من جهة أخرى , وهذا ما أحدث قطيعة بين السلطة

(1) - أبو القاسم سعد الله : " أبحاث واءاء في تاريخ الجزائري " , الجزء 2 , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1986 , ص 64 .

(2) - ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي , المرجع السابق , ص 104 .

الدينية الممثلة من مرابطين وشيوخ زوايا وعلماء والسلطة الحاكمة , من خلال إنفصالها عن الجهاز الإداري والعسكري .

الذي كان لها دور هام أوكلته لها السلطة العثمانية في المرحلة الأولى من الحكم العثماني بعد ما عرفت أنّ القوى المحلية لها تأثير كبير على المجتمع الجزائري (1) .

ففي عهد الباي عثمان بن محمد باي قسنطينة (1804م) اندلعت ثورة الشريف ابن الأحرش الدرقاوي بالشمال القسنطيني , حيث إستحوذ على قلوب السكان لتوفر عنصر الزعامة في شخصيته والمغامر والمدافع عنهم من الظلم والطغيان الذي يرونه من السلطة العثمانية من سياستهم المالية المجحفة , وما ساعده على إكتساب تأييد القبائل لدعوته وإستعدادها للسير معه وثقتها فيه وهو إستقراره بجيجل قرب سيدي الزيتوني لتعبأة الناس وتأسيسه بعد ذلك زاوية بني فرحات وتعليم الطلبة مبادئ الفقه , ثم قيامه بعد ذلك بمحاربة النصاري فسَلَّح عدت سفن بميناء جيجل سنة 1803م وهذا ما زاد إلتفاف الناس من حوله عندما تفتنت حكومة الداوي لخطورته أرسلت أربع سفن إلى مرسى الزيتونة لتهدئة القبائل والقبض عليه لكنها فشلت في ذلك (2).

بالرغم من الأحداث المتوالية في هذه الثورة فهناك من يرى أن ثورة ابن الأحرش أنها رد من المغرب على الصعوبات التي أثارها أتباع الرحمانية بتحريض من الجزائري , وهناك من يرى أنها من الإنجليز الذين أرادوا خلق مصاعب أمام الداوي مصطفى (1798-1805م) والذي إتبع سياسة مشايعة فرنسا , كما يرى بعض الباحثين طبعاً أنها انفجار عنيف للإستيلاء العام شجعه رجال الدين الذين لعبوا دوراً بارزاً في قيادة العمليات العسكرية (3) .

كما أحدثت ثورة الشريف الدرقاوي (1804-1816م) خراباً سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً وعسكرياً في دولة التي تسبب فيها درقاوة الغرب , ومن خلال إقامته عند شيخه البوبريجي زعم له أن العثمانيين بالجزائر كفار لا يصومون ولا يصلون

(1) - جون وولف : " الجزائر وأوروبا (1500-1830م) " , ترجمة وتعليق : أبو القاسم سعد الله , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1986م , ص 146-147.

(2) - حنفي هيلالي , المرجع السابق , ص 194.

(3) - حنفي هيلالي , المرجع نفسه , ص 194.

ولا يقومون بأمر الدين , ويظلمون الناس ويهينون العلماء والأولياء وغيرهم وطلب بمحاربتهم ودعم من السكان والشيوخ القبائل لنصرته على الظلمة والجهلة في نظره وأوهم السكان بذلك , وقد إصطدم مع الباي مصطفى (1802-1805م).

في فرطاسة وانتصر ولم ينج الباي إلا بنشره الدراهم على الطريق وتراجع لوهراڤ حوصر الباي الأول ثم عزل الباي الثاني و وضع مكان محمد المقلش إبن محمد الباي الكبير وهذا لما سبقته سمعة أبيه , دخل وهران بحرا فأزال الحصار وإستطاع التغلب عليه , وهزت هذه الثورة حكم العثمانيين بالجزائر , لولا السياسة التي إتبعها الحكام العثمانيين بين الأنصار والأتباع من أكبر القبائل⁽¹⁾ .

ومن ثورات الأخرى كذلك كان تأثيرها سلبيا على الحكم مثل ثورة منطقة جرجرة 1815م, وثورة بوسعادة 1814م وغيرهم , كما كانت من الثورات الكبرى التي أثرت على الحكم العثمانيين وسياسته الثورة التيجانية 1816م حيث عرفت هذه الطريقة بعد عودة أحمد التجاني إلى عين ماضي طرد بعض المتمردين إلى جبل عمور فجنّدوا بعض المقاتلين من العثمانيين وهاجموا المدينة , لكنهم فشلوا فطلبوا دعم من حسن باي وهران 1817م الذي حاصر عين ماضي 1820م , ثم حاول بعدها باي التيطري محمد بومرزوق 1819م إقتحام الواحة دون جدوى فتحول التيجانيون من الدفاع إلى الهجوم⁽²⁾ .

كان الغرب الوهراني مازال متأثرا بأحداث ثورة الدرقاوة وصار البايات يتخوفون من هذه العائلة لذلك قاد الباي حسن حملة عسكرية ثانية على عين ماضي 1825م وأتهم التيجانيين بالإعداد للثورة على غرار ابن الشريف الدرقاوي وحاصرها ثم أبرم صلحا مع الشيخ محمد التجاني .

كما تمردت قبائل النمامشة مع الحراكّة 1797م وتمردوا على النظام , حيث إنتصر عليهم مصطفى الوزناجي باي الشرق (1795-1798م) , كما تمردت قبائل الحنانشة والحراكّة و النمامشة بين سنوات (1802-1805م) فالتمرّد الأول قضى عليه مصطفى

(1) - حنفي هيلالي , المرجع السابق , ص195.

(2) - جون وولف , المرجع السابق , ص 149 .

باي الشرق (1798-1803م) , والثاني قضى عليه عثمان باي الشرق ابن محمد الكبير محرّر وهران ثم تمردت قبائل النمامشة في الأوراس 1817م لم يستطيع شاكّر باي القضاء على شوكة القبيلة وفي عهد أحمد باي 1826م عاودت قبائل النمامشة وأهل الأوراس الثورة , فأصدر الداي أمر لباي قسنطينة للقضاء عليها ومعرفة أسباب ثورة القبائل (1).

إن الثورات التي قامت بها بعض أصحاب الطرق الصوفية بسبب روح العصبية التي كانت قوية ما أفقدها عنصر الشمولية , وقد كانت عشوائية عفوية غير منظمة وإنعدام تنسيقها , إلا أنها تطلبت مجهودا عسكريا كبيرا لإخمادها , حيث وصل الأمر لحد فقدان الحكام السيطرة على الأمن في مدينة الجزائر وضواحيها , وهذا ما جعل فهوة كبيرة تزداد كلما ثار أصحاب الطرق وشيوخ الزوايا بينها وبين السلطة العثمانية الحاكمة (2). فأمم تلك المستجدات التي عرفت الجزائر في الفترة الأخيرة فترة الدايات لم تستطيع السلطة الحاكمة المحافظة على وتيرة تعاملها المعهود مع رجال الدين , فازداد ذلك التباعد بينهما , مما دفع في نهاية المطاف للزعماء الطرق الصوفية الوقوف الى جانب السكان المتذمرين من سياسة العثمانيين , بل قادوهم إلى الثورات والتمردات ضد الحكم العثماني بالجزائر (3).

ومن التغيرات التي طرأت على الولاء بين السلطة العثمانية والقوى المحلية من رجال دين و شيوخ زوايا و علماء ومرابطين , ترجع كذلك الى إشتداد نفوذ العثمانيين داخل المناطق الجبلية التي كان سكانها خاضعين للعائلات الإقطاعية المحلية , وهذا ما يفسر تفهقر العلاقة بين السلطة الحاكمة والقوى المحلية التي كانت فيما بينها وبين الرعية .

(1) - صالح عباد : " الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م " , الجزائر , دار هومة للطباعة و النشر , 2005م , ص 230-231.

(2) - ناصر الدين سعيدوني والمهدي ابو عبد الي , المرجع السابق , ص 107-108 .

(3) - صالح عباد , المرجع السابق , ص 232.

حسب رأي " كورين شوفاليه " لم يكن لها إنشغالات دينية وإهتمام من هذا الجانب , ولم تسمح بتطوير الواقع الثقافي والإقتصادي والإجتماعي من جهة , وإنما قامت بتوظيف الدين مما يضمن الإستقرار البلاد فقط (1).

كما يرى بعض الباحثين على أن المداخل البحرية في المرحلة الأولى من الحكم العثماني مقارنة بالمرحلة الأخيرة أثرت سلبا على مداخل العامة بفرض الضرائب التي أثقلت كاهل المجتمع الجزائري وعلى مستواه المعيشي (2) , و إلى تغير معاملة السلطة العثمانية إتجاه السكان وإستعمال القوة والضغط عليها دون مراعاة أحوالها والظروف التي كانت تتخبط فيها أدى إلى إستياء القبائل وشيوخها من الوضع الراهن فلجأ السكان إلى شيوخ الطرق الصوفية ورجال الدين للوقوف بجانبهم جراء ما يحدث لهم من السلطة الحاكمة , وهذا ما جعل السلطة الدينية بعدما كانت تعمل لصالح السلطة العثمانية ومساندتهم ثارت عليها بإندلاع عدت ثورات التي لم تكن ذات طابع وطني , بل كانت عبارة عن رد فعل سياسة الحاكم على المستوى المركزي التي كان لها أثر كبير على نفوذ السلطة الحاكمة وعلى القوى المحلية التي كانت تساندها وتدعمها والوساطة بينها وبين المجتمع الجزائري , لكن كان سحب بعض الإمتيازات والمكانة من القوى المحلية المدعمة لصلحها أعطى تذرر وإستياء من رجال الدين والمرابطين والعلماء بعد ما كانت لهم مكانة ونفوذ كبير لدى السلطة العثمانية .

وجدير بالذكر لقي التمرد دعما مباركا من سلاطين المغرب الأقصى بغرض إضعاف شوكة العثمانيين في الإقليم الغربي من الجزائر , الذي كان حلم المغاربة منذ سقوط الدولة الموحدية (3).

ورغم إخماد ثورة ابن الأحرش وهجرة الشيخ التيجاني وغيرهم , إلا أن المعارضة للسلطة العثمانية بالجزائر إستمرت في بعض مناطق الوطن وخصوصا نهاية القرن 18

(1) - كورين شوفاليه , المرجع السابق , ص74.

(2) - كورين شوفاليه : "الثلاثون سنة , السنة الأولى لقيام دولة الجزائر 1510-1541م " , ترجمة جمال حمادنة , المطبوعة الجامعية , الجزائر , 2007م , ص72

(3) - مختار المخفي : " العلماء والسلطة بالجزائر خلال العهد العثماني " , مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث , جامعة معسكر ,

2011-2012م , ص 174 .

فمعارضة رجال الدين والمتصوفة لم تتوقف وإن ضعفت كثيرا إذا أنه عند تولي حسن باشا آخر الدايات حكم الجزائر, شهدت فترة حكمه اضطرابات كثيرة عبر مناطق الوطن قادتها قبائل ثائرة ومتحلفة مع رجال الطرق الصوفية كمنطقة القبائل التي شهدت اضطرابات متعددة خلال سنة 1823م كما قام سكانها بأسر المفتي الحنفي وغيرها من التمردات والفوضى والاضطرابات إزاء الحكم العثماني (1).

من خلال ما سبق يتضح لنا جليا أن جل الثائرين على السلطة العثمانية قد ظهرت خلال المنتصف القرن 18م , إذ إستثنينا بعضهم الذين أبدوا المعارضة منذ البداية ولعل تفسير تركيز التمردات تلك بكثرة في هذه المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني بالجزائر هو فقدان الثقة بينها وبين القوى المحلية من جهة ومن المجتمع الجزائري من جهة كما يرجع ذلك الى إرهاب الأهالي بالضرائب وإنكماش موارد النشاط البحري التجاري منذ القرن السابع عشر , والتي كان موردها الرئيسي لخزينة الدولة , فكلما زاد إنعكس بالإيجاب على الدولة والمجتمع الجزائري , وكلما قلت موارد الأسطول البحري لجأت الحكومة العثمانية الى زيادة إستغلالها للطبقة العامة للفلاحين الجزائريين والتضييق عليها وإستعمال القوة و الضغط إن لم تقم بذلك , فساد بعض مكونات النظام العثماني وعزلته عن الرعية , وهذا ما أثر سلبا عن التعامل مع المجتمع الجزائري بمختلف مكوناته وفئاته (2).

كما كان بعض رجال الدين والصوفية تعاملهم مع السلطة العثمانية معتدلا يكتفي بالنصح والتوجيه حتى لا يمنح الفرصة للأعداء خارج البلاد بإستغلال الوضع الراهن فلذا لم يؤيدوها كل التأييد , ولم ينقموا عليها وعلى سبيل المثال الشيخ العبدلي في إقليم تلمسان كانت له علاقة مع القايد العثماني محمد بن سوري , والشيخ التليجي الذي كان له دور تغيير باي قسنطينة حسن بوخسك إتجاه الأولياء الصالحين, فبعد ما كان عنيدا ومتمردا عليهم أصبح بفضل كريمة متصالحا معهم , فكانوا يعفونهم من الجباية وإعطائهم الهدايا

(1) - حنفي هلايلي : " الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل سياسة التهميش " , مجلة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية , قسنطينة , العدد 20 , 2006 , ص 190 .

(2) - صالح العباد , المرجع السابق , ص 237

والعطايا على غرار بعض المرابطين لإستمالتهم وتوظيفهم عند الشدة والإحتياج لهم في تلك الظروف القائمة عليها من تمردات وإضطرابات من قبل الأهالي وبعض⁽¹⁾ الطرق الصوفية ورجال الدين, الأمر الذي جعل رجال الدولة يشتركون صمت هؤلاء المرابطين من طرف الطرق الصوفية ورجال الدين والعلماء وبدورهم يرشون الولاة ليسكتوهم على إبتزازهم والتعدي على أموال الناس .

ومهما يكن من مواقف رجال الدين والصوفية من الحكام العثمانيين التي تميزت بالتباين والإختلاف , فإن هؤلاء سلطة سياسية ونفوذ كبير في المجتمع الجزائري , الأمر الذي جعل العثمانيين من هاته السلطة الدينية تحسب لها ألف حساب لتلجأ بكل الطرق والأساليب لكسب ولائها⁽²⁾ .

ويتضح لنا جليا أن وجود بعض التمردات والثورات في المرحلة الأولى التي كانت رافضة للوجود العثماني في الجزائر منذ ظهور الإخوة عروج على مسرح الأحداث السياسية , إلا أن ذلك لم يمنع من أن تنشأ علاقة ولاء بينها وبين القوى المحلية من رجال الدين وطرق الصوفية والعلماء حيث أكسبها مكانة مميزة وقربتها لها , وجعلت تلك العلاقة تكتسيها قوة ونفوذ كبير إستطاعت به التحكم في زمام أمور الدولة والإستمرار أكثر من ثلاثة قرون في الجزائر⁽³⁾ .

كما تميّزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بعدم الإستقرار وكثرت الإضطرابات وإختلال نظام الحكم الذي أصبحت فيه المناصب تشتري وتباع دون النظر في ذلك حيث تحدث حمدان بن عثمان خوجة : " وفي تلك الفترة لم يكن على الذي يريد أن يصبح بايا إلا أن يتجه لأقارب أحمد باشا ويمدهم بالأموال , لقد كانت تلك المناصب تباع وتشترى وهو ما كان يلائم رجال الحكم الذي كان ظلمهم يتجاوز القانون " ⁽⁴⁾ .

(1) - حمدان خوجة , المرجع السابق , ص 42

(2) - حمدان خوجة , المرجع السابق , ص 54

(3) - ترسنجهام سنيسر, المرجع السابق , ص 360 .

(4) - حمدان خوجة , المرجع السابق , ص 56 .

بعد ما كان نظام الحكم يسهر على إستقرار البلاد وتسيير أمورها أصبح أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر جهاز لجمع الضرائب من السكان سبب ذلك تدهور في جميع الأصعدة وخاصة الوضع السياسي والإقتصادي بالدرجة الأولى .

وأمام ذلك لم يستطع رجال الدين والطرق الصوفية أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الشكاوى المقدّمة من طرف السكان جراء السياسة التعسفية لجأ السكان لهم للوقوف بجانبهم ورعاية مصالحهم وذلك ضد السلطة العثمانية , وحتى مصالح رجال الدين من مرابطين و طرق صوفية هم بدورهم تضرروا من الإستبداد و ظلم العثمانيين في هذه الفترة من الفتن والضعف وضياع مكانتهم وإمتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها بعد أن أصبحت الدولة العثمانية تطالب بجزء منه, وهذا ما أثر على العلاقة بينهما .

والسبب كذلك في تدهور مداخل البلاد وعلى المستوى المعيشي للمجتمع الجزائري وتكالب الدول الأوروبية عليها والطمع وإستغلال الظروف المترديه والقضاء عليها , وهذا طبعاً ما نجح به الإستعمار الفرنسي بدعم أوروبى خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني (1) .

وهذا ما تراه زينب جعي : " لهذه التغيرات السياسية العثمانية تجاه الزوايا بعد أن كانت تحاول كسب ودّها وتأييدهم , أصبحت تحاول إخضاعهم لإجبارهم على دفع الضرائب , وهو السبب الذي أدى الى حدوث نوع من القطيعة بين الزوايا وأتباعها وبين السلطة التي حاول موظفوا البايات تطبيقها دون مراعاة الأوضاع الصعبة التي كان يعاني منها سكان الريف , وهذا ما دفعهم إلى إعلان العصيان والوقوف في وجهها كانوا يعتبرونه ظلماً وتعسفا " (2) .

(1) - حمدان خوجة , المرجع السابق , ص 60

(2) - جعي زينب : " ثورة ابن الأحرش في بابل الشرق 1800-1807م " , عصور الجديد , العدد 18 , جامعة وهران , خريف أكتوبر 2015م , ص 131 .

نرى من خلال كل ما حصل أن الدولة العثمانية إستطاعت الصعود في حكمها بالجزائر رغم كل الصعوبات والعراقيل التي واجهتها في فترة حكمها , ويرجع ذلك بفضل دعم القوى المحلية من مرابطين وشيوخ زوايا وعلماء وطرق صوفية ومساندتهم لها حيث كان لها دور كبير في ربط العلاقات فيما بينهما , وبين الداخل والخارج وأكسبتها أسطولا بحريا قويا يحسب له ألف حساب على غرب البحر الأبيض المتوسط وإستمر حكمها أكثر من ثلاثة قرون ونصف (1) .

(1) - عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو : "دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر " , دار الطباعة الشعبية للجيش , الجزائر , 1972م , ص 144-145.

ب - التباعد الاقتصادي :

تطورت الضرائب مع الزمن حتى أصبحت تتضمن عدة أنواع أخرى من الالتزامات المالية الثقيلة , وهي المعروفة باسم الحكور والجبري والغرامة والمؤونة في بايليك قسنطينة (1) , وقد أثرت جباية الضرائب على مختلف الأنشطة الاقتصادية الأخرى .

- فأصبح الفلاحون يفضلون تربية المواشي على الزراعة ويظهر هذا التأثير بالأخص في ميدان المزروعات الصناعية مثل القطن والتين فيما يتعلق بدودة القز , فهذه المزروعات لم تزدهر بكيفية تسمح بقيام معامل نسيج بحيث تكون نواة لتطوير صناعي هام , مثلاً لاحظ " فونتوردي برادي " عند زيارته للجزائر في عام 1790م إن الأراضي الخصبة غير مستثمرة .

وسوء استثمار الأرض حال دون تعميم طرق الري والسدود مثل تلك التي كانت في جهات تلمسان والمدينة ومستغانم والمسيلة وميلة خاصة في قسنطينة (2) .

- كما أثرت جباية الضرائب المرتفعة على تطور التجارة في المواد المتفرعة عن الفلاحة فحرمت الخزينة الجزائرية من موارد هامة في كميات هامة من الجلود والصوف والشمع والزيت والحبوب التي كانت موضوع المبادلات التجارية كانت في غالب الأحيان تهرب بواسطة السوق السوداء حتى لا تقع تحت طائلة الضرائب المرتفعة (3) .

(1) - ناصر الدين سعيدوني : "ورقات جزائرية " , مرجع السابق , ص 215.

(2) - مبارك ابن محمد الهلالي الميلي , " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " , الجزء 3, مكتبة النهضة الجزائرية , الجزائر , ص 308 .

(3) - ناصر الدين سعيدوني , نفس المرجع , ص 510.

- كما كان إستخدام قبائل المخزن كسلاح رهيب ضد الفلاحين والمناهضين لهم والمتمردين على حكمهم من الأهالي الى هجرة الفلاحين وترك أثر سلبي على نفسية سكان الريف ونظرتهم إلى السلطة , بما يقومون به من حملات إنتقامية وما تتسبب فيه من نهب للثروات ومصادرة للأراضي , وولاء قبائل المخزن للسلطة يعود الى الإمتيازات التي منحها لها كالإعفاء من بعض الضرائب (1) .

(1) - ناصر الدين سعيدوني , مرجع السابق, ص 215 .

ج - التباعد الاجتماعي :

تميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بتدهور الحياة الاجتماعية , فظهرت الطبقية بين أفراد المجتمع في المدن وتدننت العلاقة بينهم , أما في الريف ظهرت إنقسامات بين القبائل بسبب موقفهم من الحكومة .
بالنسبة للمدن :

- أدى إنعزال الفئة التركية بدافع بقاء هيمنتها على المناصب الحكومية وحرصا منهم على المحافظة على وضعهم الاجتماعي الخاص , أصبحت علاقتهم مع بقية الرعية تتصف بروح العدائية والنفور المتبادل (1).
- نتيجة لسياسة الترضية التي إنتهجها السلطة وإرتقاء بعض الكراغلة الى مناصب سياسية , أثر ذلك على الرعية و أصبح ينظر إلى الكرغلي نظرة لا تختلف عن التركي (2).
- تكونت طبقة الرعية من باقي سكان المدن الحضر والبرانية والدخلاء , والحضر يتكون من العائلات المتأصلة بالبلاد بالإضافة الى الأندلسيين الذين كانوا عاملا إيجابيا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية , أما البرانية فكانوا يشتغلون بالمهن المتواضعة . وتحول سخط الرعية في بعض الأحيان الى ثورات إنتقامية .
- بالنسبة للريف إن عدم إذعان الرعية للسلطة أدى الى تصنيف القبائل , الى قبائل المخزن المتعاونة وقبائل الرعية الخاضعة وقبائل الممتنعة المستقلة عن نفوذ الحكام بفعل إنعزالها في المناطق النائية بالجنوب أو متحصنة بالجبال (3) .

(1) - ناصر الدين سعيدوني , نفس المرجع , ص 40

(2) - ناصر الدين سعيدوني : "ورقات جزائرية" , دراسة وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني , طبعة 2, دار البساتر , الجزائر , ص 42 .

(3) - ناصر الدين سعيدوني , نفس المرجع , ص 511.

- قبائل المخزن عملت على تدعيم الحكم وتقوية النفوذ بسبب منحها إمتيازات وإقرار بعض الحقوق لها دون بقية الرعية , فمن هذه الإمتيازات الإعفاء من الضرائب والإكتفاء بدفع جباية الزكاة والعشور , في حين ألزمت قبائل الرعية الخاضعة مباشرة للبايلك بتقديم الضرائب الإضافية بجانب أداء رسوم الزكاة والعشور⁽¹⁾ .

(1) - ناصر الدين سعيدوني , مرجع السابق , ص 214

د - التباعد الثقافي :

سادت المرحلة الثانية والأخيرة من الحكم العثماني نوع من الإضطرابات في العلاقة بين السلطة والرعية , فقد خلالها العلماء مكانتهم خاصة منذ ثورة درقاوة في الفاتح من القرن الثالث عشر هجري والتاسع عشر الميلادي , حيث كان الباشوات يسلكون معهم أحيانا طريقة الإرهاب والتخويف ومن مسه ذلك أبوراس الناصر والزجاي , ومحي الدين والد الأمير عبد القادر وابن العنابي و بو ضياف وابن قندوز . ولم تكن معاملة البايات للعلماء بأحسن حال من معاملة الباشوات لهم , فقد كانت علاقة صاعدة نازلة وفي إضطراب متواصل لذا فر البعض منهم إلى الخارج والبعض الى التجارة وغيرها (1) .

أما بالنسبة للإنتاج الأدبي فلم نجد إلا القليل بسبب تهاون السلطة في هذا المجال , وممن أرّخ لهذه الفترة الأخيرة نجد أحمد خوجة 1805م الذي ألف كتاب " در الأعيان في أخبار مدينة وهران " , ومحمد بن أحمد بن أبي راس الناصر 1823م .الذي أرّخ لهذه الفترة بتأليفه " عجائب الاسفار ولطائف الاخبار " وفي شرح قصيدته " نفيسة الجمال في فتح مدينة وهران " وكتابه " دراء الشقاوة في فتنه درقاوة " .

بالإضافة إلى إنتشار البدع والخرافات والإبتعاد عن الدين الحقيقي (2) . عدم الإهتمام بالمؤسسات الثقافية , فقد تراجعت العناية بها هي الأخرى في هذه المرحلة , وأصبحت تعملها اللامبالاة من طرف الحكام .

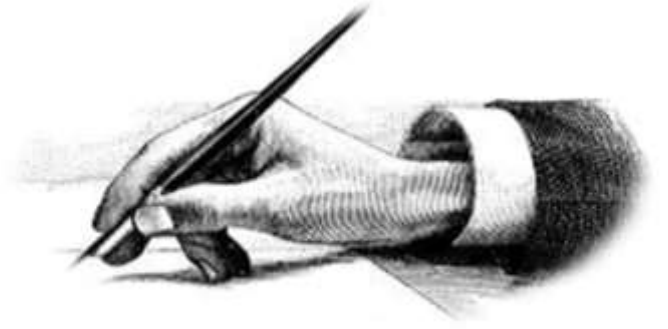
(1) - أبو القاسم سعد الله , المرجع السابق , ص 418-419 .
 (2) - ناصر الدين سعيدوني : " الحوليات " , مرجع سابق , ص 84 .

وإنعدم فيها الولاء للسلطة حيث نجد قلما يتم لهم الدعاء في المساجد ويقول الورتيلاني في شأن تهدم المساجد : " فلا نكاد نرى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث بل ولا مهتما قد جددوا ولا واهيا قد أصلح " , لكن مالم تستطيع السلطة التدخل فيه فهي مؤسسة الأوقاف (1) .

إن فقدان الثقة في السلطة أدت الى التقاف الرعية حول الزعماء كابن الشريف قائد ثورة درقاوة ففي هذه الفترة كثرة القصائد الشعرية التي تمجد تلك الثورة وتذم تلك السلطة , ويقول في ذلك الشاعر الشعبي بوعلام ابن الطيب السجاوي :

كي قصة الاجواد مع الاتراك النوبة يوم ان فزعهم ابن الشريف اوجاد
 ذوك اترك الكرسى دهر فاتو رهبة قالو الاجواد على رحمننا نركاوا
 انعقدو غاشي الاحرار عقد محبة في فرطاسة شاو النهار وتلقاوا
 ومن كتاب هذه المرحلة أبي القاسم الزياني الذي كان معاصرا وشاهدا أعيان لهذه الأحداث وأصدر تأليف (الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب) (2) .

(1) - أبو القاسم سعد الله , المرجع السابق , ص 251 .
 (2) - ابن سحنون الراشدي : " الثغر الجمانى في إبتسام الثغر الوهراني " , الطبعة 1 , تحقيق وتقديم الشيخ المهدي بوعبدلي , عالم المعرفة للنشر والتوزيع , الجزائر , 2013 م , ص 43 .



الخاتمة

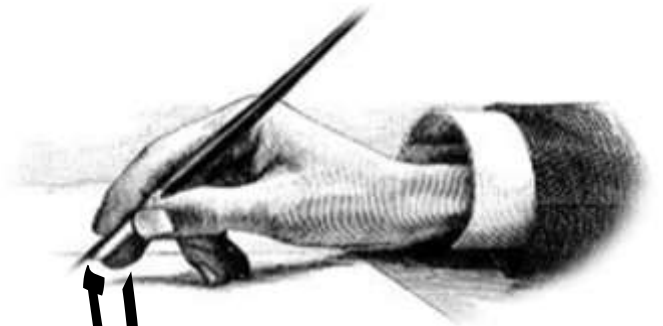
الخاتمة

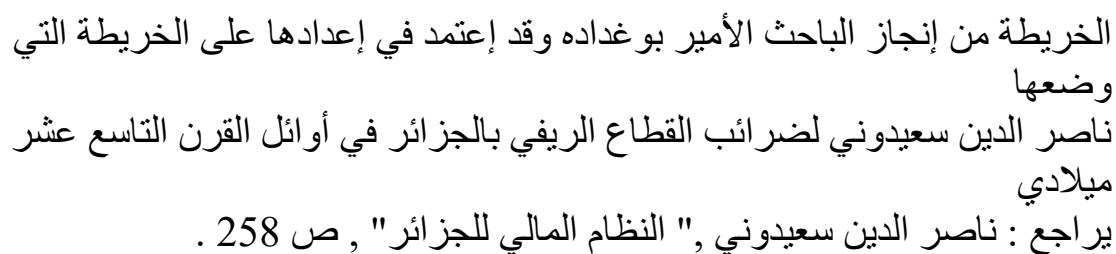
على ضوء ما ورد في المبحثين السابقين نستنتج من مظاهر الولاء خلال العهد العثماني بين السلطة والرعية النقاط التالية :

- استطاعت السلطة العثمانية أن تحكم الجزائر بواسطة القوى المحلية من خلال ولاء الرعية لها ويتجلى في عدة مظاهر عبر مراحل توأجدها, وذلك من خلال المساهمات الفعالة في جميع النواحي السياسية والدينية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية .
- ففي المرحلة الأولى إستعملت السلطة العثمانية الدين الإسلامي كوسيلة لكسب ولاء الرعية لأنهم كانوا ينظرون إليها بمنظار المدافع عن الدين والمجاهد في سبيل الله , وحافظت هي الأخرى على تأكيد هذا الإنطباع في نفوس الرعية من خلال إستمرارها في سياسة التصدي للإسبان طيلة فترة وجودها مما أكسبها ولاء الرعية طوعية .
- كان ولاء العلماء للسلطة مبني على المصلحة المتبادلة , حيث سعت السلطة العثمانية الى كسب تأييد العلماء وطلب النصح منهم لإطفاء الشرعية على حكمهم وتثبيت وجودهم من خلال منحهم العديد من الإمتيازات وإعطائهم مكانة مرموقة في المجتمع .
- أما بالنسبة للطرق الصوفية فالسلطة العثمانية لم تجد صعوبة في التعامل معهم وكسب ولائهم و تأييدهم لأن سلطة كانت هي الأخرى طرقية وإشتركت مع الرعية في إتباع الطريقة القادرية فعمدت الى الإعتناء بالزوايا ودعمهم ماديا (الأوقاف) من أجل تثبيت وجودها.
- كما كان لعامل الجهاد دورا في ولاء الرعية (المرابطين) وذلك من خلال مشاركتهم في الجهاد ضد الإسبان وتدعيمهم ماديا ومنحهم عديد من الإمتيازات .
- كما تدعم الولاء بظهور صفوة من شعراء والأدباء الذين مجدوا بعض البايات الذين أكملوا مسيرة الجهاد وتحرير وهران من الإسبان , والذين كان لهم دور كبير في الحفاظ على أمن وإستقرار البلاد في عهدهم .

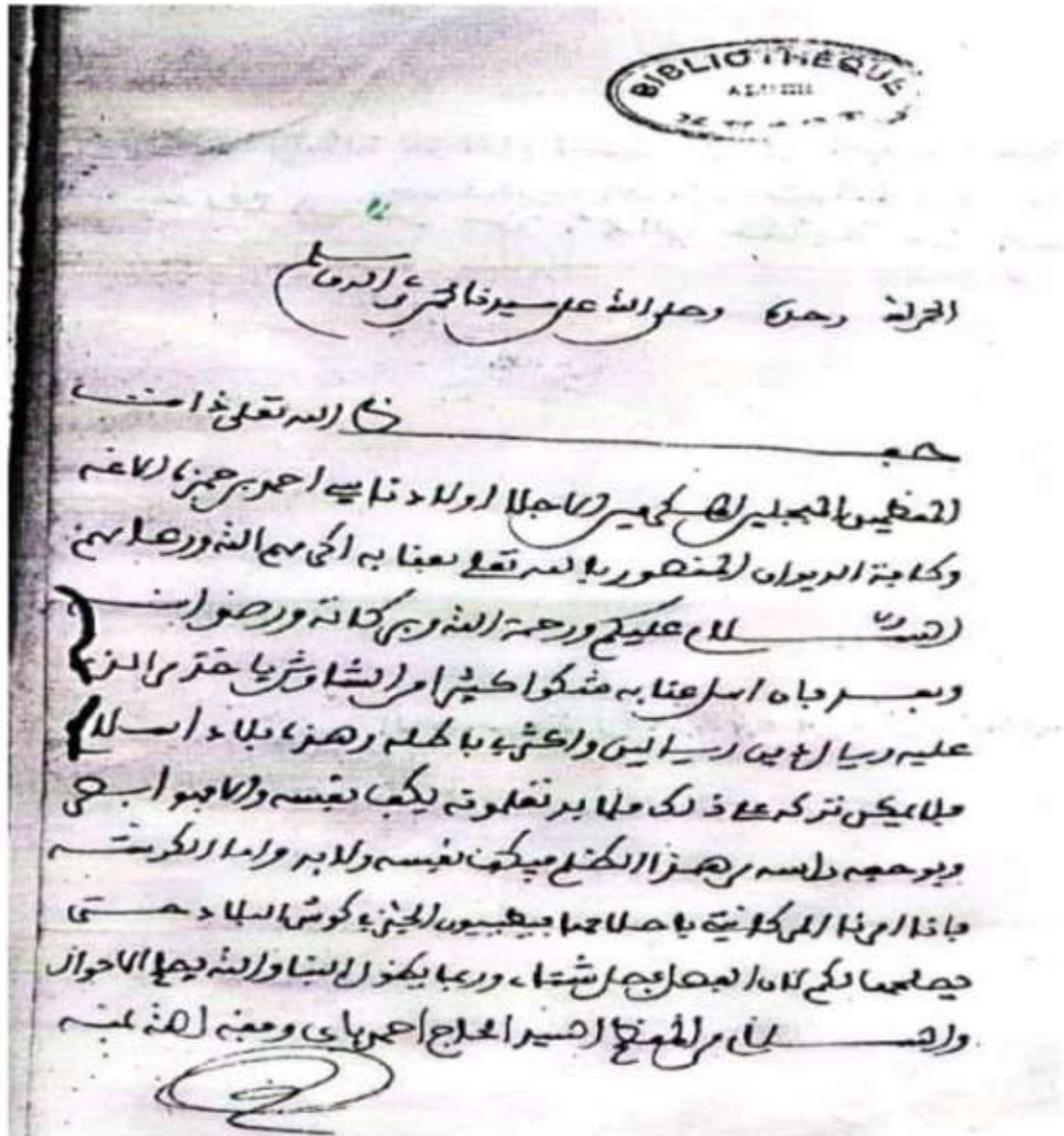
- وساهمت المؤسسات الدينية (المساجد, زوايا) في تدعيم السلطة وتأكيد ولائها من خلال الدعاء لها في المساجد ومباركة أعمالها في الزوايا .
- ومن مظاهر الولاء لسلطة كذلك في مرحلة الأولى كثرة المصاهرة التي دعمت الوجود العثماني في الجزائر .
- بالإضافة الى دفع الضرائب (الجباية) التي كان تعتبره الرعية واجب ديني , كالزكاة و العشور و تقديم الضيفة للحاكم .
- كما كان لولاء قبائل المخزن دور في إحلال الأمن وإستقرار البلاد وإخماد الثورات وفي بعض الأوقات كانت تستعمل كقوة ضغط على قبائل الرعية الممتنعة من أجل دفع الضرائب , وقابلتها السلطة العثمانية بمجموعة من الإعفاءات والإمتيازات لكنها كانت تقابل بالعكس عندما تخرج عن مهامها , مثل تجريدها من الأسلحة ومنع بعض حقوقها .
- و في المرحلة الثانية فقد شهدت تنافر وتباعد بين الطرفين بسبب عدة ممارسات للسلطة العثمانية على الرعية أدت الى إنهيار الدولة وسقوطها ومن هذه الممارسات :
 - *- تهमيش الرعية وإبعادهم عن إدارة البلاد سياسيا , من خلال إنفرد السلطة العثمانية (الفئة التركية) بالحكم وإنعزالها عن بقيت السكان (الرعية) , بالإضافة الى الإساءة للعلماء والتعامل معهم بطريقة الإرهاب و التخويف و الإهانة و السجن
 - *- وعسكريا من خلال عدم إشراكهم و إنخراطهم في الجيش ماعدا قبائل المخزن التي كانت تعمل لصالحها في الفترة الأخيرة .
 - *- كما زاد هذا التباعد و الانفصال تشديد السلطة رقابتها على المهن بالمدن و تجريد الحملات و الغارات المفاجأة على القبائل في الجنوب .
- وفي الأخير نستنتج أن ولاء الرعية للسلطة العثمانية كان عامل من عوامل تثبيت الوجود العثماني في الجزائر و الذي دام أكثر من 300 سنة .

الملاحق





الملحق رقم (2) : رسالة من الحاج أحمد باي إلى أحمد بن حمزة أغا النوبة بعنابة يطلب منه رفع الظلم من أهالي عنابة من الشاوش الذي ضاعف الضرائب عليهم 1232 هـ - 1245 هـ / 1816-1830 م .



مجموعة 1642 : رسالة رقم 06 أرشيف المكتبة الوطنية .

الملحق رقم (3) : رسالة من الحاج أحمد الباوي إلى الداي حسين باشا في أواخر شوال 1244 هـ . يوضح فيها إستعانته بقبائل المخزن أولاد دراج لفرض الطاعة على قبائل أولاد نايل .

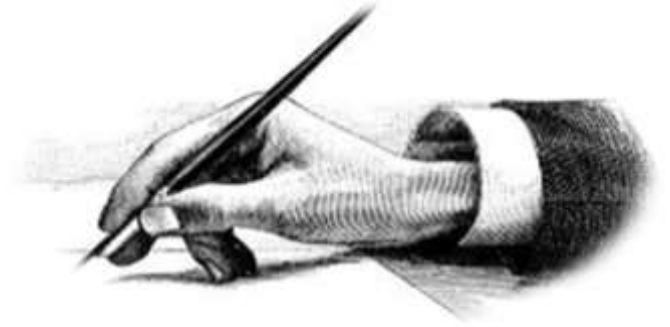


مجموعة 1642 : رسالة رقم 31 أرشيف المكتبة الوطنية .

الملحق رقم (6) : وثيقة عبارة عن رسائل من السلطة إلى الأعراس لمطالبتهم بدفع ما عليهم من ضرائب و عدم إحراج السلطة المركزية⁽¹⁾.

[illegible]

(1) - الملف 384- المجموعة (الحافظة) 1758-223 م , الأرشيف الوطني التونسي , الوثيقة 20 , تم تصوير الوثيقة من الأرشيف التونسي , أرشيف ولاية قسنطينة .



قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر :

- 1 - ابن حمادوش عبد الرزاق " رحلة ابن حمادوش " , تقديم وتحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية , الجزائر , 1983م .
- 2 - الفكون عبد الكريم : " منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية " , تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله , دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1987م .
- 3 - الزهار أحمد الشريف : "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار" , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , 1974م .
- 4 - التلمساني بن رقية : " الزهرة النائرة " طبعة 1 , أوراق ثقافية للنشر , الجزائر .
- 5 - الشريف أحمد بن محمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان , الطبعة الثعالبية , 1958م .
- 6 - الراشدي بن سحنون : " الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني " , طبعة 1 , تحقيق المهدي بوعبد لي , عالم المعرفة للنشر , الجزائر , 2013م .
- 7- بربروس خير الدين : " مذكرات خير الدين بربروس " , طبعة 1 , ترجمة محمد دراج , شركة الأصالة للنشر والتوزيع , الجزائر , 2010م .
- 8 - خوجة حمدان : " المرأة " , لمحة تاريخية وإحصائية للإيالة الجزائرية , تحقيق وتعريب العربي زبيري , الجزائر , 1975م .
- 9 - سبنسر تر سنجهام : " الطرق الصوفية في الإسلام " , ترجمة عبد القادر البحراوي , طبعة 1 , دار النهضة , بيروت , 1997م .
- 10 - سبنسر وليام : " الجزائر في عهد رياس البحر " , دار القصة للنشر , الجزائر .
- 11 - شوفاليه كورنيا : " الثلاثون سنة , السنة الأولى لقيام دولة الجزائر (1510-1541م) " , ترجمة : جمال حمادنة , المطبوعة الجامعية , الجزائر , 2007م .

- 12 - وولوف جون : "الجزائر وأروبا (1500_1830م)", ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1986م.

ب - المراجع

- 1 - العربي زبيري محمد : "مذكرات أحمد باي" , الشركة الوطنية للنشر , الجزائر .
- 2 - الميلي الهلايلي : "تاريخ الجزائر القديم والحديث" , الجزء 1 , مكتبة النهضة الجزائرية , الجزائر .
- 3 - الميلي مبارك بن محمد الهلايلي : "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" , الجزء 3 , مكتبة النهضة الجزائرية , الجزائر .
- 4 - المدني أحمد توفيق : "كتاب الجزائر" , المطبعة العربية , الجزائر , 1931م .
- 5 - العنثري محمد الصالح : "فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة وإستيلائهم على أوطانها و تاريخ قسنطينة" , مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز , ديوان المطبوعات الجامعية , 1991م .
- 6 - آيت بلقاسم مولود قاسم : "شخصية الجزائر الدولية" , الجزء 1 , شركة دار للأمة .
- 7 - البنيان مها : "الولاء والبراء" , تقديم : عبد الله بن عبد الرحمان البحرين , الكتيبات الإسلامية , دار القاسم .
- 8 - القحطاني محمد بن سعيد : "الولاء والبراء في الاسلام" , تقديم عبد الرزاق عفيفي , الجزء 1 , الفتح للإعلام العربي , القاهرة , 1981م .
- 9- العقبي صلاح مؤيد : "الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها" , دار البراق , لبنان , بيروت .
- 10 - بوعزيز يحيا : "إسلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة" , طبعة 1 , دار الغرب الإسلامي , بيروت , لبنان , 1995م .
- 11 - بلغيث محمد الأمين : "النسق الثقافي للسلطة في الجزائر في تونس من خلال تاريخ محمد بن عمر العدوان في المجلة التاريخية المغاربية (الحديث والمعاصر)" , العدد 117 , 2004م .

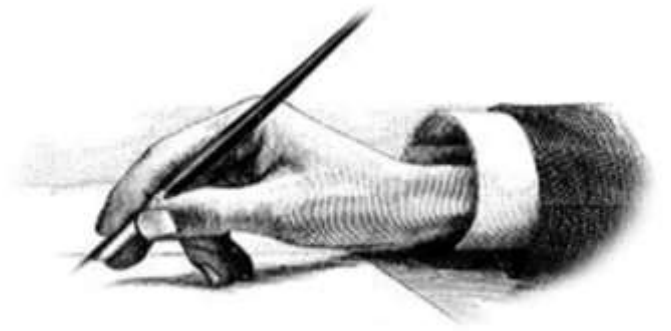
- 12- بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان : "دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر" , دار الطباعة الشعبية للجيش , الجزائر , 1972م .
- 13 - حقي عدنان : " الصوفية والتصوف " , الطبعة 1 , دمشق , سوريا , 1992م.
- 14 - حميدة عميراوي : "دراسات في تاريخ الجزائر الحديث" , طبعة 2 , في دار الهدى , الجزائر 2004م .
- 15- زينب جعي : " ثورة ابن الأحرش بابلوك الشرق (1800-1807م) " , عصر الجديدة , العدد 18 , جامعة وهران , خريف أكتوبر 2015م.
- 16- سعد الله أبو القاسم : "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر" , الجزء 2 , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1986م .
- 17- سعد الله أبو القاسم : " تاريخ الجزائر الثقافي " , الجزء 1, دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1998م.
- 18- سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبد لي : " الجزائر في العهد العثماني " , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1984م.
- 19- سعيدوني ناصر الدين : "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للولايات المغرب العثمانية (الجزائر , تونس , طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري ومن القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي" , قسم التاريخ , كلية الآداب جامعة الكويت .
- 20- سعيدوني ناصر الدين : " وراقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني " , طبعة 2 , دار البصائر , الجزائر .
- 21- شويتام أرزقي : "دور القوى المحلية في الجزائر في ظل الحكم العثماني" , الملتقى الدولي حول ممالك الأمازيغ في العهد الإسلامي , بسكرة , 2010م , الجزائر .
- 22 - عبّاد الصالح : "الجزائر خلال الحكم التركي (1554-1830م) " , الجزائر دار هومة للطباعة والنشر , 2005م.
- 23 - عطا الله الجمال شوقي : " المغرب العربي الكبير في العصر الحديث " , طبعة 1 , مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1977م.
- 24- عبد الرزاق عبد الله : " الطرق الصوفية في القارة الأفريقية " , طبعة 1 , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة , مصر , 2004م .

- 25 - عمار عمورة : "الموجز في تاريخ الجزائر" , طبعة 1 , دار ربحانة , الجزائر , 2002م .
- 26 - غطاس عائشة : " الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها " , طبعة خاصة , وزارة المجاهدين , منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م في الجزائر .
- 27 - قنان جمال : "معاهدات الجزائر مع فرنسا " , طبعة خاصة , وزارة المجاهدين , الجزائر .
- 28 - محمد دراج : " الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الأخوة بربروس (1552-1543م) " , طبعة 1 , شركة الأصالة للنشر والتوزيع , الجزائر 2012م .
- 29- هجيرة تزااف : "سر العلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية من خلال نموذج إيالة الجزائر " , المجلد 2 , العدد 4 , 2020م .

ج - المذكرات

- 1 - المخفي المختار : "العلماء والسلطة خلال العهد العثماني", مذكرة ماجيستر في التاريخ الحديث , جامعة معسكر , (2011-2012م).
- 2 - رحموني عبد الجليل : "العلاقة بين السلطة المركزية والبايليك في الجزائر العثمانية".
- 3 - رشيدة معمر شجري : "السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية", رسالة دكتوراه العلوم , جامعة الجزائر , سعد الله , تاريخ الجزائر الثقافي , الجزء 1 .
- 4 - رشيدة معمر شجري : "العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر في الفترة الدايات (1671 - 1830م)", مذكرة لنيل شهادة الماجيستر , تخصص تاريخ الحديث , إشراف فلة موساوي القشاعي , جامعة الجزائر (2005-2006م) .
- 5 - كشروود حسان : "رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والإقتصادية بالجزائر (1679-1830)", مذكرة ماستر , جامعة منتوري قسنطينة الجزائر 2008م .
- 6- معروف حياة : " علاقة السلطة بالسكان في الجزائر خلال العهد العثماني " , مذكرة ماستر في تاريخ جزائر الحديث , جامعة محمد بوضياف مسيلة , (2018-2019م).

المُلخَص



الملخص

إن إتصال العثمانيون بالإيالة الجزائرية كان معتمد على تلك القوى المحلية من مرابطين وعلماء وشيوخ زوايا وطرق صوفية , حيث شكل تقارب وتعاون مع تلك القوى ذات الحضور الديني والإجتماعي القوي في مدى تمكنهم من الحصول على دعمهم ومساندتهم لهم , لأجل ذلك سعت إلى إستمالة تلك القوى وكسب ودّها والعمل لإخضاعها بمختلف الوسائل الممكنة , وهذا ما ساعد إلى تثبيت الوجود العثماني بالجزائر بالرغم من عدة تمردات ورفضها للحكم العثماني في الفترة الأخيرة , إلا أنها إستطاعت المكوث أكثر من ثلاثة قرون ونصف .

الكلمات المفتاحية : الدولة العثمانية – الإيالة الجزائرية – المرابطين – العلماء شيوخ طرق صوفية – الولاء .

SUMMARY

The connection of the Ottomans with the algerian eyalet was dependent on those local forces of

The murabit scholars, sheikhs of corners and soviet roads, where it formed rapprochement

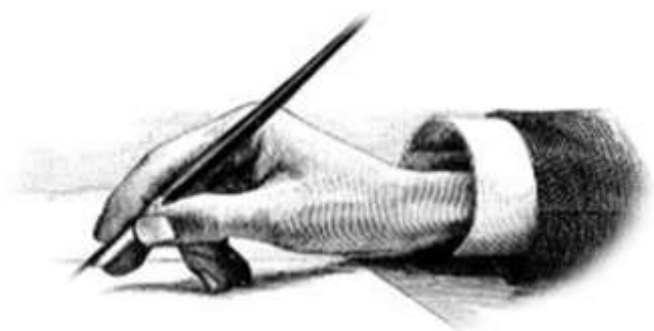
And cooperation with those forces with a strong religious and social presence in the extent to which they were able to obtain their support and support for them, for this they sought to include those forces, and winning their love and justice to subject them to various possible means and this helped

To establish the ottoman presence in algeria, despite the presence of several rebellions and rejection of the ottoman rule in the recent period, but it was able to stay for more than three

And a half centuries.

Key words : ottoman empire, ayala, almoravids.

Scientist, elders, sufiways, Loyalty.



فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر و عرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل تمهيدي	6
المبحث الأول : مفهوم الولاء و أقسامه	
المطلب الأول : مفهومه	8
المطلب الثاني : أقسامه	10
المبحث الثاني : مراحل ومظاهره	
المطلب الاول : مرحلة التقارب و التعاون من القرن 16 الى القرن 18.....	17
المطلب الثاني : مرحلة التباعد والتصادم نهاية القرن 18 إلى غاية 1830.....	35
خاتمة	50
الملاحق.....	52
قائمة المصادر والمراجع.....	59
الملخص	64
فهرس المحتويات.....	66